الشباب بين الأصالة والتجديد

مقدمة

للشباب تركيبة بيولوجية وسيكولوجية خاصة؛ وهذا الأمر يدفع باتجاه إبراز منظومات وبرامج خاصة تـُعنى بمخاطبة هذه الشريحة، والولوج إلى عالمها بما يتلاءم والطبيعة الخاصة بها تكويناً:

((فطرة الله التي فطر الناس عليها)).

حتى أصبح عالم الشباب اليوم ميداناً تتبارى فيه دول العالم بمختلف آيديولوجياتها لتوجيه حركتهم حول أهدافها، أو حرفهم عن الجادة، أو اكتشاف مواهب أبنائها المبدعة في تلك المرحلة المبكرة، وتحصين مناعتها ضد آفة التلقي السلبي التي تكاد تهيمن على منظومة تعليمنا.

في حقيقة الأمر وبعيداً عن الشعارات البراقة، فإن جيلنا يعاني من فراغ فكري، وضعف ثقافي يجسده بوضوح بحالة التلقي الجمعي غير الموجّه، وإذا أردنا معرفة المصدر المسؤول عن تدني المستوى الثقافي، وعدم نمو مجال التقدم في مجتمعاتنا فإننا سنصطدم بمجموعة عوامل مترابطة ومتشعبة، يبرز منها سوء استغلال تلك القدرات، وعدم تنميتها، فكما أن ثقافة الفرد وآيديولوجيته تتكون نتيجة عوامل متراكمة وظروف متباينة، وخبرات متعددة، فإن عملية تنمية الشباب من حيث التكوين والانطلاق الثقافي أعقد من ذلك.

وإذا كنا في عصرنا نؤمن بأن تحديث أي مجتمع لا ينطلق من التطورات التكنولوجية، بقدر ما ينطلق من القدرة على تكوين مجموعة من المؤسسات الثقافية والإعلامية التي تمتلك أدوات تعزيز واستمرار التحديث والتجديد والتنمية، وقد اضطلعت بتلك المهمة مؤسسة الكتاب الثقافية إدراكاً منها أن نظام العصر بات يفرض التخطيط المرتبط بفلسفة التربية والثقافة؛ لتعزيز مهارات التفكير الإبداعي القائم على تجديد الأدوات الإدراكية والمعرفية، وبما يحقق الاستقلال الذاتي لأجيال المستقبل في تشكيل تصوراتهم، باقتدار ونقد وأصالة، واستيعاب لقواعد التفاعل الإيجابي الخلاق مع تجليات التقدم العلمي والتقنيات وحقائق العصر.

تنمية الشباب بين الأصالة والتجديد
الدكتور إبراهيم الجعفري

- أهمية الموضوع
- التحولات التكوينية التي تعتري الشاب
- نظرة علم النفس الحديث
- الرقابة الشرعية في حياة الشباب
- التعاطي العُرفي في حركة الشباب

- ماذا نريد بـ (التنمية)؟
- كيف نفهم (الأصالة)؟
- وهل الإسلام مع التجديد؟

- علاقة الأصالة بالتجديد
- (وعي الأصالة) و (وعي التجديد)
- قيمة (الأصالة) في حياة الشباب
- (النزعة التجديدية) وتأكيدها على الأصالة

- نماذج من مسائل (الأصالة والتجديد)
- إثبات الحقيقة وقيمة الاستدلال.
- (كرامة الإنسان) والشعارات المعاصرة.
- قياس التفاضل.
- التعامل مع المرأة – الشمول – التمييز.
- العلاقة الزوجية – الأساس والمخاطر.
- (تعاطي المُسكر) الحقيقة الشرعية والمؤشرات العلمية.

- أهمية التنمية في مرحلة الشباب
- منهج التنمية عند الشباب.
- ثقافة التنمية في مرحلة الشباب.
- وعي الوسط الاجتماعي.
- ثقافة الدفاع.
- ثقافة التبليغ والدعوة.

- الخاتمة

بسم الله الرحمن الرحيم

(تنمية الشباب بين الأصالة والتجديد)

((أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ وَمَثلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاء)).(1)

يكتسب الحديث التربوي حول الشباب أهمية خاصة؛ لأنه يستهدف بناء الشخصية. وهي في مرحلة التحول الأساس، الذي يتميز بأنه متعدد في عناصره المكونة لذلك التحول كما أنه ذو انعطافة حادّة في غير السياق التغيري الذي درج الشاب عليه في مرحلة ما قبل المراهقة والشباب. وحتى يختلف – عموماً – من حيث الحدّة عما يعتري شخصيته في المرحلة التي تلي الشباب.

فعلى المستوى العقلي ينتقل من مؤمن بكل حقيقة إلى مستفسر عن أدلة إثباتها.. من مجترّ، ومكرّر للاهتمامات العقائدية والفكرية التي تطرحها عليه الأسرة والآخرون إلى مولدٍ ذاتي للأسئلة التلقائية التي تدور في خلده..

---

(1) سورة إبراهيم 24 – 27

ومن الناحية النفسية يتحول من حالة الانفعال الذاتي (السلبي) إلى الانفعال البنـّاء.. من حالة الانكفاء على الذات إلى حالة المواجهة.. من عدم الاهتمام بالآخرين إلى محاولة فهمهم، والتعامل معهم.. من غاطس في واقع حاضره إلى متطلع نحو آفاق مستقبله.. وعلى مستوى الأسرة من الانصياع لإرادة الوالدين إلى الانضباط الذاتي.. من التلقي من الوالدين إلى التعاطي معهم كأصدقاء.. من الشعور الفردي اللامسؤول إلى الإحساس بالمسؤولية تجاه الأسرة.. من النظرة الأحادية المستوحاة من الأسرة في تقييم أفرادها إلى النظرة الموضوعية المنفتحة على المجتمع في التقييم.. من مستوى التزمّت في العلاقة إلى مستوى التعايش.. من مستوى التطرف في القبول المطلق أو الرفض المطلق للمعطيات الاجتماعية إلى الفرز القيمي والقبول الانتقائي.. من عدم مراعاة الجانب الاجتماعي إلى احترام العُرف.. من الاهتمام السطحي إلى محاولة التعمّق ووعي الحقيقة.. من اللامبالاة إلى الشعور بالمسؤولية.. إضافة إلى تحولات أخرى ليست أقل أهمية من هذه أن لم تضاهِها، أو تفُقها أحياناً مثل ما تعتريه من وضع غريزي جنسي ضاغط، نزعته الاستقلالية ورفضه للحالة التبعية، تطلعه للتخصص وتحديده لمساره المهني والعلمي، تفكيره وتخطيطه للعلاقة الزوجية.. هذه مجمل التغيرات التي يتعرض لها الشباب وبصورة غالبة، وليست قطعية بكل مفرداتها. (1)

إن مثل هذه الانعطافة حملت الكثير من علماء النفس على تفسير المراهقة بأنها حالة غير طبيعية. فقد وصف جرندر Grinder حياة المراهق بأنها (مجموعة تناقضات)، أما بيكوناس والبرشت Pikunas and Albrecht فقد ذهبا إلى أن المراهق (يشعر بالضياع إلى أن يصل إلى مرحلة النضج).(2)
أما فرويد وستانلي هول فهما يفسران مرحلة المراهقة بأنها (مرحلة الجَيَشان الانفعالي، والتناقضات السلوكية، وهي عُرضة بوجه خاص للنكوص والارتداد والكثير من الأمراض النفسية).(3)
هذه العوامل الذاتية بالتغير في شخصية الشاب تضفي الأهمية على مثل هذا الموضوع إضافة إلى عوامل أخرى منها شرعية وأخرى عرفية تصبّ بالاتجاه نفسه، فالشريعة المقدسة تتعامل مع الشاب على أنه مكلف ومسؤول عن

---

(1) بعض هذه التغيرات مع الاختلاف في وجهة النظر وردها كل من Call and Hall.
(2) علم نفس النمو (الطفولة والمراهقة) ص 292.
(3) المراهق دراسة سيكولوجية ص 28.

كل تصرف من تصرفاته وإنه عرضة للحساب في كل عمل حرام، وأفردت مجموعة كبيرة من الأحكام الشرعية التي تتناول شخصية الشاب في أوجه متعددة: عبادته، تعامله مع أبويه، حقه ومسؤوليته في الزواج، طلبه للعلم، خوضه لمجالات التكسب، علاقاته بالآخرين، انخراطه في الاتجاه السياسي... وبذلك دخلت الشريعة على شكل رقابة في حياة الشباب سواء مُورست هذه الرقابة من قبله، ونبعت من داخله أم إنها اتخذت صفة موضوعية مُورست عليه من خارجه.
أما الجانب العرفي فقد تحرك هو الآخر على صعيدين في عالم الشاب، الصعيد الأول: الحس الاجتماعي الذي لديه وما يمنحه ذلك من رصيد يتناغم مع رغبته النامية، ويتفاعل مع قناعاته بشكل يجعله جزءاً من الواقع الاجتماعي الذي يحيط به، ويشترك معه في المتطلبات والأهداف والمعايير.
والصعيد الثاني: هو دخول المجتمع كعنصر تقييد لحركة الشاب، وحمله على ضرورة مراعاة اللياقات الاجتماعية خصوصاً أن الشريعة المقدسة راعت بعضها، وحملت الشاب على أخذها بنظر الاعتبار:
(من وضع نفسه في موضع التهمة فلا يلومنّ إلا نفسه).

فهو قبل هذه المرحلة كان يفكر بالجائز والحرام من وحي الرقابة الشرعية (المسموح الشرعي)، كما يفكر في حدود ما سمحت به الشريعة، كذلك (المألوف العرفي)؛ لأن الرقابة العرفية هي الأخرى أخذت تلاحق مسيرته وهو في مرحلة الشباب، لا كما كان عليه في مرحلة الطفولة وحتى الصبا.

تحديد المفردات والمقصود منها:

ما هي (التنمية)، وما هي (الأصالة)؟ وما هو (التجديد)؟

- التنمية: لا نريد بالتنمية معنى التقادم الزمني المجرد الذي يجعل الشاب في الثلاثينيات أكبر من الشاب في العشرينيات بسبب فارق العمر فقط، كما لا نريد به الفرق الحيوي (البايولوجي) من حيث زيادة الوزن، وارتفاع القامة، وتكامل أعضاء جسمه، ولا نريد بالتنمية الفارق والنمو العلمي والثقافي المجرد، مهما كانت طبيعة تلك العلوم.

كما لا نريد كذلك بمفهوم التنمية الفارق الذي يحدث في نمو الشباب بين زمن وآخر جراء تحليّه الظاهري بصفات معينة، واعتياده على ممارسات ما، ومراعاته للياقات إضافية لم يكن قد تحلى بها أو راعاها سابقاً، بحيث تكون العملية أشبه ما تكون بوضع اللبنات لإقامة جدار عال من دون أن يكون ثمة ترابط مشترك بين هذه الوحدات البنائية أو أي تفاعل فيما بينها.

إنما نريد بـ (التنمية) (1) أنها عملية (التربية)، أو عملية (التغيير) وهذه العملية تتطلب أن يتزود الشاب بالفكر، ويحوّل ذلك الفكر إلى ممارسة؛ وبذلك يحدث في نفسه اطرادات بالنمو من خلال سلوكه الفردي والاجتماعي، فيكون بذلك تقادم الزمن، أو تحصيله الثقافي، أو بناؤه البدني والاجتماعي عوامل يمكن أن تصبّ في إثراء مسيرته التربوية، وهذا هو باختصار ما نريده بمفهوم (التنمية).

---

(1) نمّى: تنمية الشيء، جعله نامياً، المنجد ص ص(29-840).

ونميّ: النماء: الزيادة، والأشياء كلها على وجه الأرض نام وصامت، فالنامي مثل النبات والشجر ونحوه، والصامت كالحجر والجبل ونحوه.

ونمى الحديث ينمى: ارتفع، ونميته: رفعته.

وأنميته: أذعته علي وجه النميمة، وقيل نميته، مشدداً، أسديته ورفعته، ونميته، مشدداً أيضاً: بلغته على جهة النميمة، والإشاعة، والصحيح أن نمّيته رفعته على وجه الإصلاح، ابن منظور، لسان العرب، ج15، ص 341.

ـ الأصالة: من الناس من يتخذ من (القِدَم) أصلاً له بالتعامل والتقييم فيفهم الأصالة (1) بأنها التمسك بالقديم لقدمه، فهو حين ينظر إلى القديم، وقد انحدر عبر أجداده وآبائه ليصل إليه لا يقوى على تجاوزه، ولا يتصور أن يرقى إلى قداسة ذلك الأصل مقدس آخر (أصالة القدم).

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الشريحة من الناس في أكثر من آية شريفة:

((وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ)).(2)

((بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُون)).(3)

فقد كان موقف هذه الشريحة الاجتماعية سلبياً من كل تغيير؛ لأنه من وجهة نظرها يمس المقدس (أصالة القدم)، فحاربت كل جديد، وتحفظت عليه وفاءً لذلك (المقدس)،

ومن الناس من يعتقد أن الأصالة هي الانطلاق من الذات في أفقها الفردي الخاص أو الاجتماعي في مداه الأوسع، وبذلك يختنق (الذاتي) في أفق فرديته، أو مجتمعه من دون أن ينفتح على الإنسان الآخر عملاً بـ (أصالة الذات)، ودفاعاً عن قداستها (قداسة الذات)، وهذا معناه أن الذاتي هنا تحول إلى مطلق ومقياس يريد لنفسه أن يتحكم بالآخرين، ويفرض هيمنته عليهم حتى تصل نزعة التسلط هذه إلى مداها الجنوني بالشعور بالعظمة بحيث يدعي (الربوبية) كما حصل لفرعون:

((فقال أنا ربكم الأعلى)).(4)

((قال فرعون ءامنتم به قبل أن ءاذن لكم)).(5)

ومنهم من لم يقلها بلسانه (عقدة الربوبية) لكنه تعامل على أساسها بنفس طاغوتي فيريد أن يأمر فيطاع، ويفعل ما يشاء هو ولا يفعل ما يشاء غيره. إذن (الذاتي الاجتماعي) أو (الذاتي العنصري) ينطلق من مجتمعه أو عنصره بكل ما يرتبط به من أفكار وعادات وتقاليد، ولا ينفتح على الإنسان الآخر؛ لأنه من غير مجتمعه ومن غير عنصره وهذا ما يعمّق لديه الحسّ العنصري الذي جعله هو (الأصالة).

---

(1) الأصالة / الأصل: أسفل كل شيء وجمعه أصول... ورجل أصيل: له أصل. ورأي أصيل: له أصل. ورجل أصيل ثابت الرأي عاقل.
وقد أصل أصالة، مثل ضخم ضخامة، وفلان أصيل الرأي وقد أصُل رأيه أصالة، وانه لأصيل الرأي والعقل، ومجد أصيل أي ذو أصالة، ابن منظور لسان العرب ج11 ص 16.

(2) الزخرف 23

(3) الزخرف 22
(4) النازعات 24
(5) الاعراف 122

والأصالة عند نمط ثالث من الناس تنبع من فكر منغلق يتوجس من الفكر الآخر، ولا يقوى على مواجهته؛ فيرفضه جملة وتفصيلاً، ومثل هذا النمط من الناس يفتقر لوعي الآخر؛ كي يقف من موقع الوعي على نقاط القوة والضعف، ونقاط الاتفاق والاختلاف، إن غياب هذا الوعي (وعي المشترك)، يحول دون رؤية الحقيقة عند الآخرين مهما كان لديهم من مكارم، والجامع لمثل هذه المصاديق هو غياب المفهوم الإسلامي للأصالة، فلا (القدم) بذاته أصل إسلامي، ولا (الذاتي الفردي)، أو (الذاتي الاجتماعي)، أو (الذاتي العنصري) هي الأخرى أصول إسلامية، ولا (الانغلاق اللاواعي) كذلك أصل إسلامي.

إذن ما هي الأصالة؟
إنها تعني تحديد أصل كل شيء، وإرجاع الشيء إلى ذلك الأصل، وحين نتحدث عن (الأصالة الإسلامية) فإننا ننطلق من الآية الكريمة:
((أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء))(1).

فقيل المراد بالكلمة الطيبة: هي شهادة أن لا إله إلا الله، وقيل: الإيمان، وقيل: القرآن، وقيل: مطلق التسبيح والتنزيه، وقيل: الثناء على الله مطلقاً، وقيل: كلمة حسنة، وقيل: جميع الطاعات، وقيل: المؤمن. (2)
والذي يعطيه التدبر في الآيات، أي: المراد بالكلمة الطيبة والتي شبّهت بشجرة طيبة من صفتها كذا وكذا هو الاعتقاد، فإنه تعالى يقول بعد وهو كالنتيجة المأخوذة من التمثيل:
((يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ)).(3)

القول هو الكلمة، ولا كل كلمة من حيث هي لفظ، بل بما هي معتمدة على اعتقاد وعزم يستقيم عليه الإنسان، ولا يزيغ عنه، وقد تعرض الله (سبحانه وتعالى)، لما يقرب من هذا المعنى في مواضع من كلامه:
((إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا)).(4)
((إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه)).(5)

---

(1) إبراهيم 24

(2) السيد محمد حسين الطباطبائي الميزان ج12 ص 51
(3) إبراهيم 27
(4) فصلت 30
(5) فاطر 10

وهذا القول (الكلمة الطيبة) هو الذي يرتب الله (عز وجل) عليه تثبيته في الدنيا والآخرة أصله وهم الذين آمنوا، ثم يقابله باحتلال الظالمين، ويقابله بوجه آخر بشأن المشركين، وبهذا يظهر أن المراد بالمثل هو كلمة التوحيد وشهادة إلا إله إلا الله حق شهادته.... (1) وكذلك كل كلمة حقة، وكل عمل صالح مثله هو المثل، له أصل ثابت وفروع رشيدة، وثمرات طيبة مفيدة نافعة.

فالمثل المذكور في الآية يجري في الجميع كما يؤيده التعبير بكلمة طيبة بلفظ الفكرة غير أن المراد في الآية على ما يعطيه السياق هو أصل التوحيد الذي يتفرع عليه سائر الاعتقادات الحقة، وتنمو عليه الأخلاق الزاكية، وتنشأ منه (الأعمال الصالحة).(2)

الأصالة الإسلامية بناءً على هذا الفهم القرآني هي: التوحيد كأصل تتفرع عنه سائر الاعتقادات، وهو ذات الأصل الذي يمدّ الأخلاق بالنمو كما ترتكز عليه الأعمال، من هنا احتل التوحيد موقعاً خاصاً في العقيدة الإسلامية، وما لم تتحرك القيم في إطار التوحيد، وما لم يكن السلوك انعكاساً للتوحيد فقد كل ذلك عنصر (الأصالة الإسلامية) والأصالة الإسلامية بهذا المعنى أكد عليها الأنبياء والمرسلون (عليهم السلام)، وهي لذلك ليست وقفاً على قومية دون أخرى، أو حبيسة أرض معينة، أو رهينة مقطع زمني دون آخر.

(الأصالة الإسلامية) مثلت إذن نقطة الارتكاز المعنوي من جانب، وقاعدة التفكير وتحديد المفاهيم والأحكام من الجانب الثاني، والدالة السلطوية التي تتحكم في مسار الإنسان في مختلف الظروف والأحوال من الجانب الثالث، وعليه تتفرع عملية التقييم حين نلمس تفكيراً أصيلاً أو مفهوماً أصيلاً، أو قيمة أصيلة، أو سلوكاً أصيلاً في مجال الفكر والممارسة، ونشعر أنها قامت على نقطة الارتكاز تلك، ومن وحي هذا المفهوم (الأصالة الإسلامية)، نتناول حادثة صلاة المسلمين بداية ظهور الإسلام تجاه بيت المقدس، ثم تحولت القبلة إلى الكعبة، إن هذه الحادثة تثير سؤالاً كبيراً وهو: لماذا لم يُؤمَر المسلمون ابتداءً بالصلاة تجاهها؟

إن الكعبة هي الكعبة قبل الصلاة تجاهها وبعدها غير أن الجديد الذي حصل هو إن الكعبة مثلت عمقاً نفسياً عند العرب؛ لأنها تعبّر عن الامتداد القومي من جانب، ولأنها موضع الأصنام التي كانت تتقرب لها العرب قبل الإسلام زُلفى من دون الله.

إن مثل هذه الحالة التي انطوت على (المقدس القومي) و(الأصالة القومية) و(المقدس الوثني) و(أصالة الشرك) لا يمكن أن يتم التعامل معها من دون تثبيت أصل آخر، وإن اقتضى التعامل مع ذات المكان وذات الجهة، من هنا نهى الله (تبارك وتعالى)، المسلمين كلياً عن (عقدة التاريخ)، وتحرروا من (العقدة القومية).

(1) السيد محمد حسين الطباطبائي ج12، ص 51
(2) نفس المصدر السابق، ص 52

ثم يأتي النداء الرباني الذي ألغى هذا (الأصل القومي)، وثـبّت (الأصل الإسلامي) المستوحى من العقيدة:
((قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوِهَكُمْ شَطْرَهُ)).(1)

كما إن إعلان القبلة الأولى، فصل الإسلام عن الطابع القومي، وأسقط الأصنام المتواجدة في الكعبة(2)، وقد يقابل كلمة (الأصالة) (الزيف)(3)، فمثلما نقول: إنسان أصيل، وسلوك أصيل، وفكر أصيل، نقول: إنسان زائف، وسلوك زائف، وفكر زائف، المقابلة الصحيحة إذن بين الأصالة والزيف، وليس بين الأصالة والتجديد، كما سنوضح ذلك بإذنه تعالى.

(1) البقرة 144
(2) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل م1، ص 347
(3) الزيف: في وصف الدراهم، يقال: زافت عليه دراهمه، أي: صارت مردودة لغشّ فيها، وقد زيفت إذا ردت، زاف الدرهم فهو زائف، ابن منظور لسان العرب، ص 142.

- التجديد: مثلما تفاوتت وجهات النظر حول (التنمية) و(الأصالة)، كذلك تفاوتت حول (التجديد)(1) فالبعض فهم (التجديد) بأنه الحديث بلغة اليوم، والتفكير بعقلية اليوم، ومادمت مرتبطاً بالماضي فأنت لست مجدداً، ومادمت تأبى تناول المصطلح المعاصر بما له من بريق وجذابية، ومادمت تطرح الفكرة بأسلوب لا يعتمد الطرق الحديثة من الاستعارات التجديدية المعقدة إذن أنت لست مجدداً، فإذا كانت للتجديد سمات فإن من نفس سماته (غرابة المصطلح) و(تعقيد الفكرة) و(التواء الأسلوب).
والبعض الآخر اعتبر التجديد بأنه: المدنية بكل ما تحمل في أشواطها المعاصرة من إرهاصات علمية، واكتشافات، وفنون، وقدرات اقتصادية، واختراعات، وتطوير في طرق العيش، ومن ثم فإن من دواعي التجديد أن نتطلع إلى (المتفوق المدني)، ونترسم خطاه، ونقتفي آثاره، ومثل هذه النظرة (نظرة الانبهار) تعمي الأبصار عن كل المساوئ التي مُنيَت بها مجتمعات الغرب التي تفوّقت مدنياً لكنها تراجعت من الناحية الأخلاقية والسلوكية.

وتترافق مع هذه النظرة نظرة أخرى لكل التاريخ والتراث (نظرة دونية)، وتخجل من استلهام أي فكرة أو قيمة مهما عظمت؛ لأنها تفتقر إلى أفق التقدم الصناعي والاقتصادي الذي تستطيع أن تتحرك فيه.

آخرون اعتبروا (التجديد) من استحقاقات سيطرة القوة، وسيادة القوي سياسياً، أو عسكرياً، فالقيمة تتبدل بتبدل ميزان القوى، ولما كان عالم اليوم تسوده قوى الغرب بما لها من إمكانات مادية وعسكرية، وادعاءات سياسية عريضة فإن التعاطي مع هذا الواقع هو التجديد بعينه، وإن الانشداد إلى الخلف والإصرار على إحيائه ضرب من اللاواقعية؛ لأنه لا يقوى على تجميد الحاضر مثلما لا يستطيع أن يحرك الماضي.

---

(1) الجدة: نقيض البلى، يقال: شيء جديد، والجمع أجدةٌ وجددٌ وجدد... وأصل كذلك كلمة القطع، فأما ما جاء فيه في غير ما يقل القطع فصلى المثل بذلك كقولهم: جدد الوضوء والعهد، ويقال كبر فلان ثم أصاب فرحة وسروراً فجد جده كأنه صار جديداً، والجديدُ: ما لا عهد لك به، ولذلك وُصِف الموت بالجديد، ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص111.

(التجديد) يعني التعامل مع المتغير على أساس ما يفرزه من نتائج ومبررات موضوعية مطابقة للحقيقة الثابتة التي ينطلق منها الإنسان، أي إن التجديد بمفهومه الصحيح هو التأكيد على الأصالة وليس نقيضاً لها، وربما يقف التجديد مقابل التجميد (1) لأن الأول يستهدف التعامل مع المتغير بموضوعيته، والثاني يكون عائقاً أمام حركته.

---

(1) جمد: الجمد، بالتحريك للماء الجامد... جمد الماء والدم وغيرهما من السيالات يجمد جموداً وجمداً أي قام، وكذلك الدم وغيره إذا يبس، سنة جامدة لا كلأ فيها ولا خصب ولا مطر، وناقة جماد: لا لبن لها، وفيه حديث محمد بن عمران التميمي: إنا والله ما نجمد عند الحق ولا نتدفق عن الباطل، حكاه ابن العربي، وهو جامد إذا بخل بما يلزمه من الحق والجامد: البخيل، ابن منظور لسان العرب، م3، ص 130.

- علاقة الأصالة بالتجديد: عودة إلى جو الآية الكريمة:

((أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ......)).

((أصلها ثابت))

إنها الأصالة الإسلامية التي لا تتبدل؛ لأنها تعبّر عن الحقيقة المطلقة، وهي التوحيد وما يترتب عليه من لواحق إيمانية، إن هذا الأصيل مدّ فروعه في حياة الإنسان، وأعطى لكل عصر حصة من العطاء الزاخر، هناك عطاء:

((أكُلها))

وهناك امتداد زمني (تجديد):

((كل حين))

وهناك ترابط عضوي بين الأصل والفرع، أي: بين الأصالة والتجديد:

((بإذن ربها))

مثلما ينطلق الإنسان المؤمن من قاعدة التوحيد في الحياة ليرسم مساره، ويحدد سلوكه، ومثلما يتطلع إلى العطاء المتدفق على مستوى التجديد المرتقب، كذلك يفترض عليه أن يحقق هذا الارتباط والوصول إلى كل ألوان العطاء الزاخر، من خلال نفس الروح الإيمانية التي تبقى منفتحة على العقيدة التي انطلقت منها لتواصل شوطها مع كل جديد، وتحدد موقفها وفق المعيار الإيماني نفسه بالرفض والقبول.

لقد حث الإسلام المؤمنين على الانفتاح المتجدد مع كل بادرة، واستثمار كل مناسبة من أجل الوصول إلى الحقيقة (الأصالة)، إن تأكيد القرآن الكريم على طلب العلم:

((يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ)).(1)

((قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)).(2)

((إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء)).(3)

---

(1) المجادلة 11
(2) الزمر 9
(3) فاطر 28

إنما هو تأكيد على الوصول من خلال المستجد الذي يكشفه العلم في إطار الإيمان إلى تأكيد الأصل التوحيدي وما يترتب عليه، كذلك الروايات الشريفة:

(اطلب العلم ولو في الصين)(1)

(طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة)(2)

إنه الانفتاح على الواقع من قبل كل المسلمين، فلا انغلاق ولا محدودية على البعض دون البعض الآخر، بل النظر إلى الحكمة على أنها ضالة لابد من البحث عنها ومعرفتها، فقد جاء في الحديث الشريف:

(الحكمة ضالة المؤمن فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق)(3)
لقد ركز الإسلام على الشباب بالذات في طلب العلم:
(إنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقي فيها من شيء إلا قبلته)(4)
(التعلم في الصغر كالنقش في الحجر)(5)
لما كان العلم في بعض مجالاته انفتاحاً على المتجدد، وما يحمل من حقائق فإن إكرام العلم والعلماء وطلاب العلم معناه مواكبة الجديد والوقوف عليه، فلا تعارض، ولا تنافي بين الأصيل والجديد، ولا مفرّ من التعامل على أساس (الأصالة والتجديد) معاً.

---

(1) الشيخ المجلسي، بحار الأنوار، ج1، ص 180
(2) الشيخ المجلسي، بحار الأنوار، ج 1، ص 177
(3) الشيخ المجلسي، بحار الأنوار، ج 1، ص 177
(4) الشيخ المجلسي، بحار الأنوار، ج 77، ص 201
(5) الشيخ المجلسي، بحار الأنوار، ج 1، ص 224

- وعي الأصالة ووعي التجديد:
نريد بالوعي تمييز مفهوم الأصالة عن كل ما يحيطه من شبهة لا ترتبط بالأصالة بصلة من جانب، وكذلك التجديد، ومن الجانب الآخر النظرة المتكاملة إلى كل من الأصالة والتجديد على أنهما متكاملان، فلا أصالة مع الانكفاء والانغلاق على الجديد، ولا تجديد مع الانقطاع عن الأصالة.
إن ما أودعه الله (تبارك وتعالى) من حقائق في الكون، وما أمر من استخدام العقل لاكتشافه وسبر غوره، لهو الرافد الأساس في البناء الحضاري الإسلامي، كما إن الثبات والقرار على المرتكز المعنوي الذي يمثل الأصالة، هو الهوية والعمق الحضاري.
فبمقدار ما ينطلق المؤمن من وعي (أصيل) يكون أكثر ثباتاً، وبمقدار ما ينطلق من وعي التجديد يكون أوسع أفقاً، وبهذين الوعيين - وعي الأصالة ووعي التجديد- يتم الحفاظ على صفة المبدئية والواقعية، وعندها لا معنى لأن يعاني المؤمن من حالة الازدواج في التحرك بين أن يكون أصيلاً أم مجدداً، مبدئياً أم واقعياً، كما لا معنى لأن نتصور حركة المؤمنين على أنهما ركبان، ركب (الأصالة) المنغلق وركب (التجديد) المنفتح، ركب الماضي والحاضر، ركب المتشدد والمتسامح، كلها تصبح مقولات لا أساس لها من الصحة.

- قيمة الأصالة في حياة الشباب:
حين ينفتح الشاب على بيئة اجتماعية معينة بشكل عام، أو بيئة غريبة بشكل خاص، ومن أجل أن لا يتأثر ولو إلى حد ما بعادات ذلك المجتمع وتقاليده وأفكاره، بحيث يتزود على ضوء منهجه الفكري، والمعرفي، وأسلوبه الثقافي، فيقتضي أن يستقل بشكل كامل في جذوره الثقافية وقاعدته العقدية، وإن كانت هذه البيئة تشكل خطراً على الكبير كذلك، غير أن الخطورة تبلغ أقصى مدى عند الشاب؛ لأنه لم يعايش (مجتمع الفكرة)، و(مجتمع العقيدة)، بل إنه يقرأ الفكرة، ويؤمن بالعقيدة من دون أن يصل إلى حد التعاطي بمفرداتها مع الآخرين ممن تربطهم وإياه رابطة العقيدة؛ لذا تراه يعيش أحياناً غربة في التعامل مع مصاديقها، ولنضرب على ذلك مثلاً الضيافة في الغرب أمر لا مبرر له، خصوصاً حين يقترن بالبذل والعطاء من دون مصلحة مادية معينة، وحين يدرج الشاب في مثل هذا العرف (اللاضيافة) تجده يقف متحيراً في تفسير البذل والعطاء المادي حين يقتضي الأمر ذلك، بينما حين يعيش مفهوم الضيافة المرتبط بالعقيدة:
(الضيف ينزل برزقه ويرتحل بذنوب أهل البيت)(1)

(1) الشيخ المجلسي، بحار الأنوار، ج75، ص 461

وحين يتعاطى هذا المفهوم في عرفه الإسلامي مع الآخرين، ويتعامل معه باستمرار تجده يتطلع لتطبيقه، ويستوحش في غياب قيم الضيافة في حياته.
وحين ينطلق الشاب من موقع (وعي الأصالة) يستطيع أن يتميز الأصيل عن الزائف حتى إذا ادّعى المزيفون أنهم يمثلون (الأصالة)، فكثير ما يقع الشباب تحت طائلة تأثير مثل هذه الدعاوى في محاولة لشدهم إلى ممارسات وتجمعات لا تمت إلى الأصالة بصلة، وهي إنما تكثر في وسط الشباب بالذات؛ لأن الكثير منهم قد لا تتوافر له الحصة الكافية من الوعي والثقافة لمعرفة هؤلاء وادّعاءاتهم على حقيقتها، إضافة إلى أن بعض الشباب يندفع بقوة في مطلع شبابه ليتغير بهذه الدعاوى أو تلك ويضحي لهذه المجموعة أو لغيرها، خصوصاً إذا اكتست ثوب الدين والأصالة والتراث وما شاكل ذلك، فالشاب الواعي يدرك جيداً أن الأصالة في إحياء الشعائر مثلاً تقتضي التمسك بأحكام الشريعة والابتعاد عن كل ما يسيء لها من قريب أو بعيد، كما يدرك أيضاً أن الأصالة تقتضي التمحص بالإسلام والتشبّع بمفاهيمه وأحكامه، ولكن ذلك لا يعني أنه يحبس الإسلام في دائرة، ويعزله عن دوائر الحياة الأخرى بذريعة (الأصالة).

- قيمة التجديد في حياة الشاب:
إن التجديد يعني مواكبة (الأصالة) على هدي المعطيات المعاصرة، وهذا يوفر للشاب حالة من النمو والكفاءة تؤهله لبناء شخصيته بناءً إسلامياً قوياً، كما يؤهله للإسهام في بناء أسرته وبلده على ضوء تلك المعطيات.
إن البناء العقلي والنفسي يجعله يسابق الزمن، وينفتح بلا تردد على المستجدات وسواء كانت هذه المستجدات في مجال العلم، أو الفن، أو الرياضة، أو أي مجال من المجالات فإن نفسه تطاوعه لأن يتوافر عليها، مثلما حث الإسلام الآباء على دفع أولادهم في مثل هذه الميادين مادامت انطلاقتهم من موقع (الأصالة) فقد جاء في الحديث الشريف:
(لا تقسروا أولادكم على أخلاقكم فإنهم خُلِقوا لزمان غير زمانكم)
المؤمن يسابق الزمن في كل شيء، ويبحث عن كل مفردة جديدة من موقع تأصيلها؛ وبذلك يمنح الجديد رصيد الأصالة مثلما يكسو الأصيل ثوب الجدة، ومن أروع ما يصل إليه المؤمن الشاب بالذات أنه يجد أن كل جديد يؤكد أصالة مبدئه، وأن كل أصيل في عقيدته ومتبنياته يعاصر حياته، ويتجدد مع مرور الزمن، إن ذلك يعمّق فيه روح الثقة، ويمنحه زخماً كبيراً في البناء والحركة.

حين يتحرك المؤمن من موقع التجربة ينفتح على الآفاق الحياتية، فيضفي على الإسلام بُعده الواقعي، وجدارته على بناء الحياة على هدي أحكامه، كما يتعمق إيمانه بقدرة الإسلام على استثمار كل الفرص التي من شأنها رفع كلمة الإسلام وإعادته إلى الواقع على المستويات المختلفة، كما إنه يستطيع أن يقف وبكل ثقة أمام الاتهامات التي تحاول أن توقف حركته بدعوى التخلف، والتطرف، واللاواقعية والتعصب، فهو يستطيع ومن موقع التجديد أن يطرح الإسلام بما ينسجم مع روح العصر، كما يرد على دعاوى الأعداء بحجج دامغة لا تقبل الشك، مثلما يستطيع أن يطرح بقوة قيم الإسلام وأحكامه التي تعالج مشاكل الناس، بعيداً عن المزايدات التي تنادي بها بعض الدول الآن من أمثال حقوق الإنسان.

- الأصيل الثابت والمتجدد:

إن أمور العقيدة ومفاهيمها من الأمور الثابتة التي لا تخضع للنظرة المتجددة، ولا تزيدها النظرة المتجددة إلا رسوخاً، كما إن العبادة باعتبارها تمثل التعبير عن الجزء الثابت من الشخصية، فلا يُتوقَّع لها أن تخضع لأي تغيير كالصلاة والصوم وكذا سائر العبادات، إلا في مقدمات بعض العبادات من أمثال الحج، وتوفير مقدمات الراحة من حيث النقل والسكن والطعام؛ فتتوسع بتوافرها فرص الاستطاعة لكثير من المؤمنين ممن لم تتوافر لهم إمكانية أداء الفريضة بغير هذه الوسائل.

- نماذج تطبيقية من المسائل بين الأصالة والتجديد:

1. البرهان لإثبات الحقيقة

الأصل في أي استدلال صحيح أن يعتمد البرهان على صحة مدّعى معين خصوصاً في مسائل العقيدة، ولعل من جملة ما يميز الدين عن غيره أنه يرفض التقليد في الشأن العقيدي، وأراد للعقل أن يأخذ حصته الكافية من الاقتناع حتى يصل إلى حد اليقين، كما أراد الدين الإسلامي الحنيف، أن لا ينغلق المسلم أمام دعاوى الآخرين بل الاستماع إليهم والتدقيق في أدلتهم وبرهانهم:
((قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)).(1)

وفي الوقت الذي طرح القرآن الكريم أصالة اعتماد البرهان في إثبات الحقيقة يطرح أصالة الاطلاع على الرأي الآخر، وما يحمل من برهان في سياق مدّعاه من الموقع الذي يعزز فيه روح الثقة، والثبات بالعقيدة، والانفتاح الواعي على الرأي الآخر الذي يطالبه البرهان في أي فكرة يدّعيها، أو أي تهمة يوجهها إلى الفكر الإسلامي بذلك يكتسب الإسلامي وعياً بجدارة فكرته، ووعياً بعجز المدّعي الخالي من الدليل، فـ(العلم)، و(احترام الرأي)، و(حرية التفكير)، و(الاستدلال) مبانٍ إسلامية، أما اتخاذها شعارات جديدة تنطوي على أدلة تتنافى ومفاهيم العقيدة وتوظيفها لزعزعة ثقة المسلمين بعقيدتهم، فهذا هو الذي يرفضه الإسلام، وهذا ليس لأنه جديد، إنما

الجديد فيه هو التفنن في استخدامه لحرب الإسلام، وإلا فإن كل جديد يخضع للاستدلال الصحيح تعميق لأصالة الفكرة، وخدمة العقيدة:
((أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ)).(2)

---

(1) البقرة 111
(2) الأنبياء 24

يقول الله (سبحانه وتعالى) لنبيه (صلى الله عليه وآله وسلم)، قل لهؤلاء المتخذّين الألهة من دون الله: هاتوا برهانكم على دعواكم، فإن الدعوى التي لا دليل عليها لا تُسمَع، ولا تجوز عقلاً أن يُركَن إليها، والذي استند إليه في طلب الدليل أن الكتب السماوية النازلة من عند الله (سبحانه وتعالى)، لا توافقكم على ما ادّعيتم بل تخالفكم فيه، هذا القرآن وهو ذكر من معي، وهذه سائر الكتب كالتوراة والإنجيل وغيرهما، وهي ذكر من قبل، وتذكر انحصار الألوهية فيه تعالى وحده ووجوب عبادته.
بل أكثرهم لا يعلمون الحق، فهم معرضون عن خطاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالإشارة إلى أن أكثرهم لا يميزون الحق من الباطل، فليسوا من أهل التمييز الذين يتبعون الدليل، لذا فهم معرضون عن الحق واتباعه(1):
((وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ)).(2)
((أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)).(3)
((وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ)).(4)

2. كرامة الإنسان
((وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ)).

المستفاد من ((كرمّنا))، هو الإشارة إلى ما نصح الله (سبحانه وتعالى) الإنسان من مجموعة من الخصوصيات الذاتية، وحيث إن الإنسان روح وعقل وجسد وسلوك فإن دائرة التكريم شملت كل هذه الجوانب، وإن المساس بها يتنافى مع أصل التكريم، إلا في الحالات التي يكون الإنسان قد خرج فيها من الاستقامة إلى الانحراف، عندئذ يتجمد هذا الأصل، ويتم التفاعل معه على أساس آخر سواء أكان هذا الانحراف على المستوى الفردي مع نفسه، أو الاجتماعي مع الآخرين.

(1) السيد محمد حسين الطباطبائي الميزان، م 14، ص 274
(2) المؤمنون 117
(3) النحل 64
(4) القصص 75

(وقد يخطر في البال أن لا يكون هذا الإعلان عن تكريم الله لبني آدم مجرد حديث عما أفاض الله على الإنسان من ألطاف التكريم التكويني في طبيعته، ودوره في الحياة، بل يتعداه إلى الخط التشريعي الذي يوحي بكرامة الإنسان كأصل من أصول النظرية القرآنية للإنسان بحيث تؤكد كل تصرف يدلل على كرامته، وترفض كل ما يؤدي إلى إهانته من موقعه الإنساني بعيداً عن العناوين الثانوية التي قد تجيز إهانته والتعدي على حرمته على أساس بعض الأوضاع، أو الصفات، أو الانتماءات المنحرفة عن خط الله؛ فتكون لنا من خلال ذلك قاعدة شرعية، هي احترام الإنسان في نفسه، وماله، وعرضه، كأصل إسلامي فقهي، لا يجوز الخروج عنه إلا بعنوان آخر مُخصص له).(1)

ولنتساءل هنا عن بعض الممارسات الجديدة المتعلقة بحق الإنسان على كل جوانب شخصيته، فعموم الرياضة البدنية تؤكد أصالة الاهتمام بالبدن، وتحفظ له قوته، وقد جاء في الحديث الشريف:

(علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل)

غير أن الجديد أيضاً أن يتعرض الإنسان وهو يمارس نشاطاً رياضياً لشتى أنواع المخاطر التي تصل أحياناً إلى حد الموت! فحين يقف الشارع المقدس أمام مثل هذه الممارسات؛ ليحرّمها مصداقاً (لتكريمه) فهل إن ذلك إلغاء للتجديد أم إنه تأكيد للأصالة؟

والمريض حيث يتعرض لعاهة معينة سواء في مرحلة متقدمة من العمر، أم في سنيّ حياته المبكرة (المنغولية مثلاً)، وحتى إذا اكتشف في المرحلة الجنينية، ونجد الشريعة تقف بحزم في تحريم قتله، وتحث على ممارسة مختلف السبل لشفائه، أو الحيلولة دون تعرضه لأصل الحالة المرضية، وهذه هي الأخرى مصداق لأصالة تكريم الإنسان، ورفض الضغط الذي يمارس عليه من قبل أي جهات حاكمة بسبب عقدي، أو سياسي كل ذلك تأكيد لنفس الحقيقة (كرامة الإنسان)، فلو ألقينا نظرة موضوعية على ما جرى، ويجري على الساحة الإنسانية اليوم تحت شعارات جديدة: حقوق الإنسان، حرية التعبير عن الرأي، التطهير العرقي، واذا ما استحضرنا ما يمارس تحت طائلة هذه العناوين من جرائم واعتداءات، نجد أن أهم ما يلفت الانتباه هو فقدانها لأصالة (تكريم الإنسان).

(1) السيد محمد حسين فضل الله من وحي القرآن م 14 ص 193

3- مقياس التفاضل بين الناس
((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)).(1)

كل مجتمع له معياره في التقييم يتفاضل بموجبه أفراده بعضهم عن البعض الآخر، واختلف الإسلام عن غيره من الأنظمة من زاوية التقييم، فهو لا يفاضل بين الناس على أساس العنصر، أو اللغة، أو الطبقة المادية، أو الانحدار العائلي، بل اتخذ من التقوى والعلم والعمل والجهاد مقياساً للتقييم، وإذا كانت بعض الأنظمة الوضعية على مستوى الشعار (المقياس النظري) تبدو متشابهة مع ما يطرح في الإسلام غير أن التجربة العملية أثبتت بما لا يدع مجالاً للشك أنها لم تكن كذلك مثال ذلك: أميركا التي ترفع لواء الديمقراطية المعاصرة، وتتكلم عن حقوق الإنسان، لكن شعبها يعاني من عقدة التمييز العنصري، كما يعاني العالم من سياستها الخارجية القائمة على أساس ابتزاز خيرات الشعوب للصالح الأميركي!!.
وفرنسا (داعية الحرية) و(محطمة سجن الباستيل) والمدعية هي الأخرى للعدل والمساواة تشترط أن يجيد سكرتير الأمم المتحدة اللغة الفرنسية، وإلا فإنها تستخدم صلاحيتها بحق الرفض (الفيتو)!!
هذا هو بعض من (الجديد)، الذي يطرح من قبل أكثر دول العالم ادعاءً لحقوق الإنسان واحتراما له؟ الإسلام يطرح شعاره بعدم التمييز العنصري، ويمارس ذلك الشعار في واقعه منذ شوطه الأول وإلى الآن:
(لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى)
فسلمان الفارسي، وبلال الحبشي، وصهيب الرومي تقترن أسماؤهم بتجسيد ذلك المفهوم منذ حمل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، لواء الإسلام.

4. التعامل مع المرأة
لقد نظر الإسلام إلى المرأة على مستوى خلقتها، إو استقلال شخصيتها، أو تكاليفها، أو حقوقها، أو جزائها نظرة عادلة تراعي كل ما لديها من خصوصيات تكوينية، وقد حفظ لها بناءً على ذلك دورها في بناء الأسرة والمجتمع، وأخذ لها حقوقها الشخصية والزوجية وصيانة كرامتها، والعالم المعاصر عموماً والغربي خاصة يطرح (الجديد) في عالم المرأة من خلال: حرمة المرأة، جمالية المرأة، أنوثة

المرأة، حيث أخذت هذه الشعارات طريقها إلى الواقع الغربي بالشكل الذي أودى بالمرأة إلى مستوى متدنٍ مسّ كرامتها في الصميم، فالإسلام ينادي باحترام المرأة، وصيانة كرامتها من الانتهاك، ويلزمها بالحجاب؛ ليحفظ لها عفتها، ويصون المجتمع من التفكك والانحدار مثلما يحرم أي انتهاك لحقوقها المشروعة، فالإسلام يواجه كل محاولة لابتزاز المرأة، والتلاعب بحقوقها باسم العادات القبلية، أو الأعراف الاجتماعية، أو عقدة (الهيمنة العرفية)، وقد وفر لها كل ما من شأنه أن يحفظ لها حقوقها المشروعة.

---

(1) الروم 21

5. العلاقة الزوجية

((وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً))(1)

لقد ثبّت الإسلام أساس العلاقة الزوجية، ونظمها بالشكل الذي يحفظ لكل من الزوجين حقوقه، وأعطى لكل واحد منهما الحق الكامل في اختيار شريك حياته، لكن (الجديد) في عالمنا المعاصر يطرح الظواهر الاتية:

1. ظاهرة الأخدان FRIENDSHIP
   - صديقة رجل GIRL FRIEND
   - صديق امرأة BOY FRIEND
2. مشتهي المماثل Homosexeual
3. زواج الأب من ابنته أو ابنة زوجته

كما يطرح (الجديد) أنواعاً أخرى مختلفة من الانحرافات تحت يافطة الحقوق الجنسية، فيما تؤكد سجلات الشرطة والطب ما آلت إليه هذه الممارسات من أضرار فادحة على الأسرة والمجتمع، ناهيك عن معدلات الخيانة بين الزوجين، وارتفاع منسوب الطلاق لأسباب تافهة، ومن هذه الظواهر الشاذة ظاهرة (الأخدان)(2).
تنتشر اليوم ظاهرة الأخدان (صديق الرجل وصديق المرأة على أساس الممارسة الجنسية) في مجتمعات الغرب بشكل مخجل، بحيث تعرضت العلاقة الزوجية إلى الانتهاك، وهددت بنية الأسرة، فلم تعُد للزوج بنظر زوجته، أو للزوجة بنظر زوجها حرمة تصان أو قيمة معنوية تحفظ؛ لأن كلاً منهما يُبرم علاقة مع الجنس الآخر بعنوان (خدن) الصديق، ويتعاطى من خلال تلك العلاقة الممارسة الجنسية بشكلها البشع، ومثل هذه العلاقة كانت قد حدثت في الجاهلية القديمة التي سبقت ظهور الإسلام، غير أن الإسلام الحنيف وقف أمامها بحزم، وصان الأسرة من الهدم، وحفظ العلاقة الزوجية في إطار العفة والوفاء والطهارة، فقد جاء في كتاب الله العزيز:
((.. ولا متخذات أخدان))(3)
ولا متخذين أخدان...))(4)

(1) الحجرات 13
(2) خدن: الخدن والخدين: الصديقُ، والمحكم: الصاحبُ المحدثُ، والجمع أخدانٌ وخُدناء، والخدن والخدينُ: الذي يخادنك فيكون معك في كل أمر ظاهر وباطن، وخدن الجارية: محدثها، وكانوا في الجاهلية لا يمتنعون من خدنٍ تحدث الجارية فجاء الإسلام يهدمه، وفي حديث علي (عليه السلام): إن احتاج إلى معونتهم فسرّ خليلٍ وألام خدين، العلامة ابن منظور، لسان العرب ، م13، ص 139.
(3) النساء 25
(4) المائدة 5

6. تحريم المسكر

((يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا)).(1)

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ)).(2)

تتحدث الآيات السابقة تخصيصاً عن الخمر من المسكرات، وكيف حدد القرآن الكريم حكم الحرمة، وأشار إلى بعض مفاسده وأضراره، فيما يطرح في عالم اليوم الخمر على أنه ظاهرة مقرونة بالتجديد، فتنتشر في الأجواء الاجتماعية المختلفة، ويحاول البعض أن يضفي عليها طابعاً صحياً وإن قيّدها بكمية معينة! بينما تثبت المراجع الطبية المعتبرة منها، وحتى العادية حقيقة أنها حالة تسمم سواء بشكل مزمن أو حاد Acute and Chronic Alcoholisim، وتربط كل الإحصاءات الطبية بين تعاطي الكحول وأمراض الكبد، القلب، المعدة، عدا الأمراض النفسية والعقلية، وأما سجلات الشرطة فقد غصّت بشواهد الإجرام والحوادث بسبب الخمر، ويكشف عن كل ذلك دليل آخر، أن أول إجراء تقوم به الشرطة في كل حادث (سيارة)، مثلاً التثبث من أن سائق السيارة مخمور أم لا؟ وهناك الكثير من الشواهد الأخرى التي تؤكد أن حركة التجديد تأكيد للأصالة، وأن الأصالة ممتدة لكل آفاق التجديد ولا تناقض بينهما.

- أهمية التنمية في مرحلة الشباب

مهما اختلفت مدارس علم النفس حول الاتجاه العام في التربية، وما تستهدفه في تنمية الشباب فهي تلعب دوراً أساسياً في واقعه، ومستقبل حياته (3) وإذا كانت المراحل السابقة للمراهقة تشهد بعض التحولات من سنة إلى أخرى، فإن مرحلة الشباب في الأعم الأغلب تشير إلى التحولات التي سرعان ما تؤول إلى الاستقرار بالشخصية، يضاف إلى ذلك أن القاعدة التي تؤسس بمثل هذه المرحلة يمكن أن يشاد عليها صرح الشخصية بكل ما فيه من أفكار، وعواطف، وسلوك، وتكون منسجمة

مع تلك القاعدة، فإذا ما بُنِيَت على العقيدة الإسلامية الحقة، فإن بناء الشخصية سيكون بلا شك بناءً إسلامياً متكاملاً يتكفل عملية التطوير المطردة في مراحل العمر اللاحقة؛ لذا (يتوجب العمل على نشر الثقافة الدينية بين المراهقين مع الاستعانة بعلماء الدين في مختلف مجالات التوعية مثل مشاكل الشباب وتنظيم الأسرة...)(4)

---

(1) البقرة 219
(2) المائدة 90- 91
(3) من توصيات المؤتمر الأول للصحة النفسية المنعقد في القاهرة في كانون الأول عام 1970.
(4) دكتور حامد عبد السلام زهران علم النفس النمو ص 397

- ثقافة التنمية

إنها ثقافة البناء التي تستهدف في خطواتها الأولى تعميق الجانب العقائدي لدى الشباب، وتوطيد العلاقة الروحية التي تشكل واقعاً ذاتياً، ورقابة داخلية في شخصيتهم، كما إنها تجعله في إحساس دائم أنه يتعين نظر الله (سبحانه وتعالى)، في كل خطوة، أو إحساس، أو موقف، ولابد من تثبيت حقيقة: أن العقيدة هي المائز القوي من حيث الاتجاه بين إنسان وآخر، وهي المقياس الرتبي في مقام التقييم، وهي التي تتكفل ببناء الإنسان ذاتياً ليأخذ ما يحتاجه من المفاهيم، كما تدفعه لتجسيد الأحكام الشرعية في مقام التعامل في مختلف دوائره مع الله (تبارك وتعالى)، أو مع نفسه ومجتمعه.. إن هذه الحقيقة أثارها القرآن الكريم في الكثير من الآيات القرآنية إذ أكد حقيقة الترابط بين العقيدة بالله (جل وعلا)، وبين الاستقامة في الحياة:
((إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تتنزل عليهم الملائكة....)).(1)

ولا ننكر إمكانية بناء الشخصية في مراحل العمر المختلفة، كما أثبت الواقع ذلك لكن مرحلة الشباب فيها ميزتان أساسيتان الميزة الأولى: أنها تبدأ معه من نقطة الصفر في طريق الحياة، فهو حين يعانق العقيدة من هذا الموقع لم يكن معبّأً بفكر آخر متجذراً في نفسه بحيث يشكل عائقاً، أو يمازح بشكل شعوري أو لا شعوري عقيدته الحقة؛ مما يتطلب منه حرصاً استثنائياً للتخلص من تلك الشوائب، وإعادة النظر في كل عاداته وسلوكه على هدي العقيدة الجديدة التي آمن بها في مرحلة لاحقة.

الميزة الثانية: أن العطاء العقائدي حين يبدأ مع مسيرة الإنسان وهو في أول الطريق، لاشك أنه ينعكس عليه في شتى مجالات حياته، وبمختلف مراحل نموه، فهو إذن أوسع أفقاً وأخصب عطاءً.

- وعي الوسط الاجتماعي

لا يمكن للشاب أن يتعامل مع كل وسط ما لم يعِ مفرداته السلوكية خصوصاً عندما يكون الوسط غير إسلامي؛ لكي يتحدد على ضوء ذلك تعامله مع كل مفردة يتعايش

معها حسبما يتطلب الأمر ذلك ويرفض إذا استدعت الحاجة، ويقبل إذا لم يجد ثمة ما ينافي العقيدة.

إن الوسط اللاإسلامي لا إسلامي باجماله، وهذا لابد أن يولّد عنده الإحساس بعمق المسؤولية في رفض الإجمال، لكن ذلك لا يمنع بل يستلزم وجود الكثير من المفردات التي تنسجم مع الإسلام، وتقترب من الشريعة.

إن مثل هذا الوعي سواء للعادة، أو الشعار العلمي، أو اللافتة السياسية، أو العرف والتقليد الأكاديمي، أو الممارسة الفنية، أو الهواية الرياضية يجعله أمام موقف واضح بالتعامل من دون أي ازدواج أو معصية - والعياذ بالله - وما لم يتسنّ له هذا الوعي، فإن سلوكه سيكون عرضة للمفارقة أو الانحراف.

---

(1) فصلت 30

- ثقافة الدفاع عن الإسلام

هناك الكثير من المفردات الثقافية الإسلامية يحتاج الشاب إلى التعرف عليها، وإن لم يكن بحاجة إليها على مستوى التطبيق السلوكي، لكن أهميتها تستمد مما يثار حولها من اتهامات، وما يثار من خلالها بوجه الإسلام من هجوم، مثال ذلك:

- لماذا تعدد الزوجات في الإسلام؟
- لماذا للذكر مثل حظ الانثيين؟
- لماذا الحجاب؟
- لماذا حرمة الربا؟
- لماذا حرمة الغناء؟
- لماذا حرمة شرب الخمر؟

ثم تمتد الحاجة كلما زادت دائرة تعامل الشاب في الأوساط الاجتماعية، حتى تصل إلى حد التساؤل:

- هل في الإسلام اقتصاد؟
- هل في الإسلام سياسة؟
- هل هناك نظرية في الأسرة؟

إن مثل هذه الثقافة تسهم في ممارسة عملية الدفاع عن الشريعة المقدسة، وهي مطلوبة من الشباب، وإن كانت بالنسبة لمرحلة نموه تأتي بالدرجة الثانية بعد ثقافة البناء.

- ثقافة التبليغ والدعوة

ومن خلال توافر الشباب على الفكر الإسلامي إلى حد الأصالة، ومن خلال فهمه لطريقة تفكير الإنسان الآخر غير المسلم، أو غير الإسلامي، ومن خلال إجادته للغة الإنسان الآخر، وما يستحوذ على اهتمامه من خلال هذه العناصر يستطيع أن يمارس دوره كمبلغ في سبيل الله.

إن الخطاب الإسلامي الذي يتوجه إلى أي إنسان يعيش نمطاً من التقليد، أو يتداول لغة معينة، أو يتعبأ باهتمامات فكرية خاصة لابد أن يأخذ بنظر الاعتبار كل هذه الحيثيات، وإلا فسيكون خطاباً نظرياً لا يقوى على إيصال الحقيقة للمخاطبين بها، والمفروض بحامل الفكر أن يجيد فن الطرح من خلال فهمه للآخر، والتعرف على طريقة تفكيره؛ لأنه لم يزل يفكر بطريقته الخاصة، ويخضع لقناعاته المسبقة.

- الخاتمة

إن عملية التنمية التي يحتاجها الشباب ليست طريقاً وسطاً بين الأصالة والتجديد إنما هي الأصالة بعينها من منظور مبدئي، كما إنها التجديد ذاته من زاوية واقعية، فما يثبته الواقع من صلاح في المعيار القيمي الإنساني يجد له أساساً في الشريعة ولو بخطها العام، وإذا كان الشاب يعمّق من نظرته المبدئية لكل مفهوم عقائدي، ولكل مفردة عبادية، ويتسلح بالأفكار والنظريات الإسلامية في نباء شخصيته فإن تطلّعه لكل جديد في إطار ما تسمح به الشريعة الإسلامية يجعله يعيش الإسلام الواقعي الذي يمثل (عمق الأصالة) وروعة (التجديد).

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

إبراهيم الجعفري

شعبان 1417 هـ

18- 12- 1996 م

كلمة الدكتور إبراهيم الجعفري خلال لقائه أساتذة وطلبة جامعة البصرة بتاريخ 2007/1/11

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد رئيس الجامعة، الأساتذة العمداء، والسادة والسيدات الأفاضل، أولادي وبناتي الأحبة، تحية حب واحترام وتقدير، متوّجة بإكليل الدعاء إلى الله (تبارك وتعالى)، بأن يحفظكم، ويرعاكم، ويُجري على أيديكم، وألسنتكم الحكمة، ويفتح لكم طريق بناء العراق الحبيب، الذي ينتظر جهودكم..
قال الله (تبارك وتعالى) في محكم كتابه العزيز:
((إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى)).

عندما أتحدث في حرم الجامعة، تأخذني الذاكرة الى حيث بدأت رحلتي قبل اربعين عاماً، وعلى وجه التحديد عام 1966، حيث انتميت الى جامعة الموصل، وعشت هناك مع إخوتي، وأخواتي طالباً، واتخذت من الجامعة محطة للتزوّد العلمي، واتخذت من علاقات الجامعة داخل المجتمع الموصلي، مجالاً لأن أنتمي للمجتمع الموصلي وأتفاعل معه، وآخذ منه، وأتعلم منه، لا أن أكون مجرد طالب علم في حرم الجامعة.

إخوتي الأعزاء، هناك نظريات كثيرة، ترى أن الشباب مفصل اساسي لبناء المجتمع، ولكن للأسف الشديد ان النظريات العلمية عندما تفسر مرحلة الشباب، لا تنظر الى هذه المرحلة كما ينبغي، حيث ذهب (كريندر)، الى ان الشباب يمثل مرحلة الضياع، وذهب (بيكانوس)، الى جانب (كريندر)، فيقول: ان الشباب يمثل عادة انفعالية مضطردة، ويذهب (فرويد)، إلى ان مرحلة الشباب هي حالة انعكاسات لا شعورية، ناتجة عن الهياجات الغريزية، وبشكل خاص الغريزة الجنسية.

إن مدارس علم النفس الحديث، وللأسف الشديد، اقتصرت، وأسرت ظاهرة الشباب، أسرتها بفهم ضيق، ولم تنجُ بعض الاعراف، والتقاليد المجتمعية، التي لا

تمتّ الى تقاليدنا وقيمنا بصلة هي الاخرى من هذا التوجه، حيث تعاملت مع مرحلة الشباب على انها مرحلة اتكال، وتمرد، وكأنهم يستكثرون على الشاب ان يتمتع بعقل متفتح جديد، ينقلهم من عالم الصبى، الى عالم الرجولة والنضج، ولان عقلهم (أي: المراهقين)، يملي عليهم ان لا يتبعوا الاخرين، فسروا ذلك على انه تمرد، كما فسروا النقلة النفسية الرائعة، التي تحدث عند الشباب في شخصيتهم، وهم يدخلون مرحلة الشباب، على انها تمرد، وعصيان، ونشوز عن طور العائلة.

بينما نجد ان مبادئنا، وقيمنا، واحكامنا الفقهية تنظر الى الشاب نظرة تختلف تماماً عن مدارس علم النفس، وتختلف كذلك عن النظرة العرفية التقليدية، اذ يولد الشاب وهو يدخل مرحلة النضج والرشد، وتستقبله الشريعة الاسلامية بمصطلح (المكلف)، الذي يعتمد على نفسه، ويقرر، وتنظر له الشريعة الاسلامية منذ ان دخل مرحلة الشباب، إلى أنه مسؤول عن نفسه، فهو لا يخاطب من خلال ابويه، ولا يعفى من التكليف، بل تنتظم مجموعة احكام في الشريعة الاسلامية، لتخاطب الشاب المراهق، لتخبره انك اصبحت مكلفاً حين تصلي، وحين تصوم، وحين تحج اذا كنت مستطيعاً، لانك من الان فصاعداً اصبحت تتمتع بمقومات النضج، والرشد الكافي.

إن من ينظر الى هذا التفاوت من هذه الزاوية، يراها تنفرج بأقصى مدياتها ما بين علم النفس الحديث، وما بين الاعراف والتقاليد من جانب، وبين ما تختزنه الشريعة الاسلامية باحكامها، وما يكتنزه الاسلام بقيمه، ومفاهيمه، ومبادئه، ونظرته الى الشاب من جانب آخر، لذلك صدح رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، حين قال:
(لقد نصرني الشباب يوم خالفني الشيوخ).

من هنا، اقترن الشباب بكل نقطة تحول، حيث ان كل تحول في التاريخ يحمل لواءه الشباب، فما من ثورة، وما من صمود، وما من مقاومة، أو انعطافة في التاريخ الا وتجد الشباب علمها، ومفصلها، وسر حركتها، لانهم يمتلكون من الطاقة، والحركة ما يجعلهم مؤهلين، لأن يمضوا في طريق التغيير، مادام التغيير يتطلب شجاعة، ويتطلب صفاءً، وتحرراً من العقد، والذهنيات المتكلسة من خلفيات الماضي، هكذا يكون الشباب.

وحين أخاطب الشباب من رواق الجامعة، لابد أن أذكرهم أن الجامعة عطاء زاخر، وأن المدرس، وأستاذ الجامعة، قد يكون مدرساً أكاديمياً، أو قد يكون أباً، لذا عندما يكون المعطي معلماً، وأستاذاً.. على الطلاب من موقع التلقي أن يأخذوا، ويسمعوا، ويتزودوا منه، وحين يتحول الأستاذ إلى أب، لابد للطالب أن يشعر أنه ليس أمام ينبوع علم فقط، بل هو أيضاً أمام مُعطٍ، ومُربٍ، بقيمه، ومبادئه، فيتحول من طالب إلى ابن.

من هنا، تنشأ العلاقة بين الطالب والأستاذ، على أنها علاقة احترام، تبدأ بينهما كعلاقة طالب وأستاذ، لتنمو، وتتدرج حتى تصل إلى قمتها، كعلاقة ابن وأبيه، فيكون الطالب باراً بأستاذه وأبيه؛ لأنه يتزوّد بالعلم من جهة، ولأنه يتقوم بتربية أستاذه من جهة أخرى.

وإذا شاعت سابقاً في بعض الجامعات، ظاهرة الطالب الذي قد يجد نفسه من موقع القوة متمرداً على أستاذه، ففي منظومتنا، ومعرفيتنا، وقيمنا، ومبادئنا ان الطالب ينظر الى استاذه بكل احترام، وتقدير، واجلال وبما ينسجم مع مكانته، ويتأتى هذا من تقديس الطالب للعلم، خصوصاً ان القرآن الكريم يقول:
((يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ)) (المجادلة/11)
((قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ)) (الزمر/9)
إن الطالب الذي يبدأ رحلته في المدرسة، متدرجاً على سُلـّم التعلم، من طالب في المرحلة الابتدائية، الى طالب في المرحلة المتوسطة، الى طالب في الثانوية، الى طالب في مرحلة الجامعة، وهنا لا ينبغي ان يعتقد الطالب، انه اذا تجاوز مرحلة الجامعة، أنه تجاوز مرحلة طلب العلم.. إن طلب العلم لا يقف عند حد، ولذلك من يتخرج من الجامعة، سيبقى منتمياً الى الجامعة بعلومها، وبشعور الطالب انه مدان لاساتذتها، ولتلمذتها مدى الحياة.
إن ديناميكية طلب العلم لا تقف عند حد، فالطالب الواعي يشعر انه سيبقى يطلب العلم على مدى سنوات عمره:
((وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)) (الإسراء/85).
((وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ)) (يوسف/76).
حيث إنه لا معنى لأن نوقف عملية التلقي، والاستفادة من الكتب والاساتذة، ومن المصادر التي تعمل على إثرائنا، من هنا قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):
(طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة).
وقال (صلوات الله وسلامه عليه وآله):
(اطلب العلم ولو في الصين).
أي: اطلب العلم ولو كان في المدى الجغرافي البعيد، وقال:
(اطلب العلم من المهد الى اللحد).
أي: اطلب العمل في المدى الزمني البعيد، الى الموت.
إن لذة عشق الكتاب، والكاتب، والاستاذ، والمربي لا تقف عند حد، ولا يستسيغ طعمها الا من يعرف قيمة العلم في هذه الحياة، ولولا اهمية العلم، لما ميّز الله (تبارك وتعالى)، بين الناس على اساس علمي:
((إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)) (فاطر/28).
أمم العالم اليوم، يتفوق بعضها على البعض الآخر ويتميز، بمقدار ما تكون قد درجت، وارتقت على السلم العلمي لتأخذ موقعها، ومكانتها تحت الشمس، هنا في الجامعة، وبعد مرحلة الاعدادية تبدأ مرحلة الاختصاص، فما من مهندس، وما من

طبيب، وما من معلم، وما من اقتصادي، أو حقوقي، إلا كانوا طلاباً، ومروا بجسر مشترك، ليصلوا الى مرحلة الجامعة، وفي الجامعة تتشعب الطرق فمن الطلاب من يتجه ليتخصص في الهندسة، او الطب، او التاريخ، او الادب، او الاقتصاد، او الكومبيوتر.

من هنا، إن الحديث عن الجامعة، هو حديث عن رجال ونساء يصممون البلد، ويخططون له، ولذلك في جامعات العالم المتقدمة، نجد ان هذه الجامعات خرّجت منظرين، وربما ذهبوا لكن مناهجهم بقيت، بغض النظر عن تقييمنا لهذه المناهج، حيث بقيت مناهجهم تتدور على مر التاريخ، فقد ذهب (ماركس)، والذي كانت له نظرية في تحديد موارد الطبيعة، وبقيت الماركسية، وذهب كثير من علماء الاقتصاد الكلاسيكي، وكثير من اصحاب نظريات علم الاجتماع كـ (سبنسر)، و(رينان)، وسواهما، وبقيت نظرياتهم تشغل حيزاً كبيراً في الذهن، وتنعكس على شكل نمطيات الى الان.

لذلك، فإن دول العالم المتطورة عندما تواجه مشكلاً اقتصادياً، أو مشكلاً سياسياً، أو مشكلاً اجتماعياً تعود الى الجامعة، ففيها اصحاب الفكر، والتجربة، والعلم، لتجعل منهم عقلاً ثانياً، كما يقول امير المؤمنين (عليه السلام):

(العقل عقلان: عقل الطبع وعقل التجربة)، فتلوذ الدول بعقل التجربة، وتستمع الى اصحاب التجربة، في محاولة للتغلب على المشاكل، لذلك بعض الجامعات افرزت من ساهم بحل المشاكل، ومنهم للأسف الشديد من لم يقـُم بذلك.

لقد انطلقت بعض النظريات من الجامعات، وقد جعلت المجتمع، او التجمع البشري في مشكلة، لان هذه النظريات أطـّرت المجتمع بأطر ضيقة، حيث تبدو هذه النظريات للوهلة الاولى، تحمل صبغة علمية، لكنها كثيراً ما تكون واجهة لتوجهات ذات نزعة عنصرية، واضرب لذلك مثالاً بسيطاً، فـ(رينان)، عالم الاجتماع المعروف وهو مستشرق فرنسي يتحدث في نظريته عن تقسيم الناس إلى أحد أصلين!.

فاما ان يكونوا من اصل آريّ، ومنها شعوب دول اوروبا، والافغان، والكرد، والفرس، أو أن يكون الناس من اصول غير آرية (سامية)، ومنهم العرب، واليهود، كما يعتقد (رينان)، ان العقل الآريّ عقل عملي، واقعي، يبحث عن الاكتشافات، والاختراعات، فيما العقل من اصل (ساميّ) يجنح الى الادب، والسحر، والخيال، ولذلك يعتقد (رينان) ان المجتمعات ذات الاصل الآري تبحث عن المكتشفين، والمخترعين، واصحاب النزعة العلمية، بينما تفرز المجتمعات ذات الاصل السامي، الشعراء، والادباء، والسحرة، والكهنة، والانبياء، وهو يريد بذلك ان يقول: إن النبوة ظاهرة ارضية تنبع من عقل الانسان، بل انها تنبع من خيالاته، وليس من وحي ارتباطه بالله (تبارك وتعالى).

كما يعتقد (رينان)، أن الشخص ذا الأصل الآري اذا ما دخل الى حديقة، وقيل له: صف هذه الحديقة، فيجيب: اني اجد هنا ورداً اصفر، وهنا ورداً احمر، اما اذا وجه نفس السؤال للشخص ذي الاصل السامي، فيجيب من وحي الخيال: اجد المحبة تعانق الحرية، وما شاكل ذلك، ويضيف (رينان): ولان العالم دخل مرحلة العلم

والآلة، لذا لابد للشعوب من الاصل الآري من أن ترتقي، وتتقدم في مجال التكامل، بينما الشعوب ذات الاصل السامي، لابد من أن تستعمر من شعوب ذات اصول آرية، حتى تستطيع ان تأخذ بيدها، وتتقدم!!.
اذن هذه النظرية تبدو في ظاهرها علمية، لكن تسكن في داخلها اسرار خفية، تكشف عن نزعة عنصرية، تنتهي في مدياتها الاخيرة الى تصنيف الشعوب، والتنظير الى ان العالم الشرقي، يجب ان يكون محكوماً من قبل العالم الغربي.
مثال آخر، (فرويد)، فسر السلوك على انه سلوك جنسي، واستبد به هذا التفسير، وهو تفسير يبدو للوهلة الاولى قوياً، وانا لا أنكر على الرجل قدراته الرائعة، فهو صاحب مدرسة التحليل النفسي، وهو الذي دفع بعلم النفس الحديث لان يدخل حيز التجربة، كما انه طبيب ذكي جداً، لكنه للأسف الشديد، فسر السلوك البشري على انه جنسي، وغريزي محض، لتصل النظرية الى مستوى السخف، عندما فسّر ان الرضيع عندما يرضع من ثدي امه، فإنه يرضع الحليب بلذة جنسية!.
ثم جاء بعد ذلك (صموئيل هنتكتون)، ليتحدث في كتابه (صِدام الحضارات) كما يعتقد، انه بعد سقوط الاتحاد السوفيتي، وانتهاء الحرب الباردة، فإن العالم سيدخل في صراع حضاري، وإن الليبرالية الاميركية ستواجه عدوّين لدودين هما: (الكونفوشيوسية) و(الإسلام).
لست بصدد الرد على هذه النظريات، ولكني نقلتها بامانة وكما هي، كما لو كان (رينان)، يتحدث عن نظريته، لكني اقول: ان هذه النظريات لا تصمد امام الدليل، فلم يكن العقل الشرقي هو الذي ولد السخف والشكوك، ولست عنصرياً ولا أميّز بين قوم وقوم، لكني اقول: إن نظريات (نيتشة)، و(هوبز)، و(ديكارت)، كل هذه النظريات، لم تنبض، وتتحرك في بلاد الشرق، بل انها أتت من الغرب، ومع بدء الاسلام، بدأ المنهج العلمي في العالم، ومثال ذلك (جابر بن حيان)، تلميذ الامام جعفر بن محمد الصادق (صلوات الله وسلامه عليه)، عندما حدد طرقاً علمية للبحث العلمي بأحسن السبل، وأقلها كلفة، للوصول الى أدقّ النتائج، وقد طبّق ابن حيّان ذلك في الكيمياء.
وحتى لا اظلم الجامعة، في كل بلدان العالم، فان هناك من هم من اصحاب النظريات الرائعة، والاساتذة الذين انطلقوا من مجتمعات الغرب، وهم كانوا منصفين لانهم كانوا امناء على الحقائق العلمية، وقد خرجوا علينا بنتائج رائعة، وصلت الى حد ان يكتب (46) شخصية، (44) منهم من غير المسلمين، في جامعة (السوربون) الفرنسية، كتاباً عن الامام الصادق (عليه السلام)، عند علماء الغرب، حيث يتحدث هؤلاء عما يختزنه هذا الامام المعصوم من حقائق علمية، من خلال اخذ سلسلة من الروايات، ومناقشتها، وهم ليسوا مسلمين باستثناء اثنين منهم فقط.
إذن الجامعة، تستطيع ان تموّل كل نظام اجتماعي، وكل مجتمع بمزيد من الحلول، من خلال اشاعة ثقافة البناء، وهزم ثقافة الهدم، نحن الان في العراق نواجه مشاكل كثيرة في مجتمعنا، ولابد للجامعة من أن ترعى التخصص، لكي تخرّج لنا مختصين في مجالات الحياة المختلفة، حيث إن العراق بأمسّ الحاجة لأصحاب الاختصاص من دون استثناء، فالمجتمع لا يستغني في أي مجال من المجالات عن المختصين:

((وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)) (النحل/43).

اذن هذه قاعدة عقلية، وهي أن يرجع الجاهل الى العالم فيما لايعلم، تماماً كما تواجه عطلاً في سيارتك فإنك سترجع الى مختص في الميكانيك، وعندما تواجه مرضاً في جسمك ترجع الى مختص في الطب، وعندما تواجه عائقاً في كلمة، أو قصيدة ترجع إلى أصحاب الاختصاص في علوم الصرف، والنحو، والعروض.

إذن هناك مختص، وهناك معتمد على المختص، فعندما يتحدث لك استاذ التاريخ عن التاريخ، ويبحر في عالم التاريخ، ويسبر أغواره، فهو يتحدث من موقع الاختصاص، ويربط لك الاسباب بالنتائج، ليذكرنا بأن البشرية قطعت أشواطاً من التقدم عبر التأريخ، وأنت كمعتمد على المختص، تشعر بطعم المختص عندما يتحدث عن اختصاصه، وعندما يتحدث لك البحار عن السفن، والبحار، والماء، وكيف أنه يقاوم، وينجو بسفينته، تشعر بطعم ما تسمع؛ لأن البحّار يتحدث من موقع الاختصاص، لذا فالاختصاص حقيقة حياتية، يجب أن لا نفرّط بها.

فالجامعة يمكنها ان تموّل المجتمع، وتطوي المسافة على سُلـّم الارتقاء، لتصل بالبلد في أسرع وقت ممكن إلى مستوى الدول الكبرى، من خلال امتلاك اسرار العلم، العلم الذي ميز به الله (تبارك وتعالى)، العالم على غير العالم،

نحن لا نتحدث بمقاسات الزمن البدني، والزمن الفيزيائي، إنما نتحدث بمقاسات الزمن المعنوي، والزمن العقلي، والزمن العلمي، لذلك حتى في علم النفس، عندما يقيسون الذكاء، يفرقون بين العمر العقلي، عن العمر الزمني مضروباً في مائة، حيث تجد نفسك احيانا، امام شخص صغير العمر، لكنه يحمل عقلاً كبيراً، بينما تجد احياناً اخرى، شخصاً خط الزمن آثاره عليه لكنه واقف مكانه بلا تقدم على سُلـّم العلم...

وصيتي لابنائي وبناتي في الجامعة، ان يستثمروا كل دقيقة، في الجامعة، وان يستثمروا الاستاذ، ويستثمروا كل حوار، وان لا يعتبروا تلقي العلم هواية، أو رغبة عابرة، وانما هو مسؤولية، فالانسان العالم يختلف عن غير العالم، وهذه مقاييس ربانية، فالله (تبارك وتعالى)، يفرق بصريح الآية القرآنية الكريمة، بين العالم وغير العالم:

((قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ)) (الزمر/9)

حيث إن الانسان العالم، والمثقف يستطيع أن يبني مجتمعاً، فأحد أبرز الفروق في العلاقة الزوجية، هو مستوى تعلـّم الوالدين، حيث تختلف طريقة إدارة العلاقة الزوجية، وإدارتها بين المتعلم والمتعلمة، وبين الجاهل والجاهلة، لأن الأم المتعلمة، والأب المتعلم يختلفان في سياقات التعامل مع الأبناء، عن الإنسان غير المتعلم، كما أن الأولاد، والشباب الجهلة يختلفون في طريقة تعاملهم عن الأبناء المتعلمين، وأول من يقطف ثمار العلم هو المتعلم والمتعلمة.

أحياناً، عندما يصل العالم الى حد الوعي بعيد النظر، وعندما يربط الحاضر بالمستقبل، قد يشعر أنه يعيش في غربة، وقد تكون الغربة، غربة طارئة، وعندما

يعيش الإنسان وعياً، يضيق به عصره، ولذلك كل عظماء العالم الذين عاشوا ضيقاً في عصورهم، عاشوا عصر الضيق المعاصر، وعصر الانفراج في الأجيال اللاحقة، وكل العظماء الذين ضاق بهم جيلهم الذي عاشوه، مجّدتهم الأجيال اللاحقة.

انظروا إلى كل العظماء في العالم، سواء في مجالات العلوم الدينية، أو غير الدينية كالقانون، أو الطب، أو الهندسة، أو في أيّ مجال آخر، تجد أن هؤلاء لُوحقوا من الذين عاصروهم لأسباب الحسد، والجهل، فطحنت ماكنة الموت في القرن السابع عشر (غاليلو)، لأنه خالف الكنيسة عندما قال: إن الأرض هي التي تدور حول الشمس وليس العكس، وعندما أرادوا أن يرموا به من أعلى جبل في (بودابست)، عاصمة المجر، خطّ برجله كلمة على الارض، تقول: سيموت غاليلو، وستبقى الأرض تدور حول الشمس.. مات غاليلو، وبقيت الأرض تدور حول الشمس، فانهارت محاكم التفتيش، أمام رؤية العلماء أمثال (غاليلو).

محاكم التفتيش هذه، التي كانت تقودها الكنيسة، جلدت، وقتلت المئات من العلماء، ووفق إحصائية وصل عدد هؤلاء العلماء، والمكتشفين الى ثلاثة آلاف مكتشف علمي، لكن - للأسف الشديد - لم تسقط محاكم التفتيش فقط، ولم تسقط الكنيسة فقط، ولكن انسحبت ردود الأفعال الى الدين المسيحي، والاديان كلها، وهكذا فصل الغربي بين الدين والحياة، بعد أن فصل الدين عن السياسة.

نريد أن نحترم الجامعة، ونحترم أصحاب الاختصاصات، ونتعامل مع هؤلاء على أنهم روّاد؛ لذا على الطالب أن ينظر الى أستاذه من زاوية الاختصاص، وعليه أن يأخذ من أستاذه ما يبرع فيه في اختصاصه؛ ليصبح مهندساً ناجحاً، أو طبيباً ناجحاً، أو نحوياً ناجحاً وهكذا.

علينا أن نحترم المعطي، ونتعلم منه، لذلك فقد انتظمت في الشريعة الاسلامية آداب التعامل، وآداب اكتساب العلم، وكما يقول الإمام (عليه السلام):

(من علّمني حرفاً ملكني عبداً).

حين تكون عالماً تشعر أنك تطلّ، وكلما زاد علمك زادت إطلالتك، فعندما تختزن مثلاً من علوم التاريخ، يعني أنك جعلت التاريخ حاضراً بين يديك، وأنك أضفت من عمرهم إلى عمرك، وهذا يعني أن عمرك أصبح أطول من عمرك الحقيقي، فما هي قيمة العلم، اذا لم تفُز بالتجربة، وتستفيد من تجارب الأمم والشعوب، لذا ادخل الى الكتاب، وابحث في الكتاب، وعندما تبحث في الكتاب ستتذكر قول الامام امير المؤمنين، لولده الحسن (عليهما السلام):

((أي بني، إني وإن لم أكن عمّرت عمر مَن كان من قبلي، فقد نظرت في أعمالهم، وفكرت في أخبارهم، وسرت في آثارهم حتى عدت كأحدهم بل كأني بما انتهى إليّ من أمورهم قد عُمّرت مع أولهم إلى آخرهم...)).

يجب ان لا ننظر الى التأريخ على طريقة الحدث الفلاني، الذي حصل في السنة الفلانية فقط، وليس على طريقة الف ليلة وليلة، بل ان نفهم التاريخ كحركة تربط بين الاسباب والنتائج، من زاوية علم اجتماعي، وعندما نفهم التاريخ بهذه الطريقة، نستطيع بعض الاحيان من خلال بوادر أزمة ما وملامحها منعها قبل نشوبها، لأنا

استوعبنا التاريخ، لم نقرأ التاريخ نظرة ماضوية بالعودة الى الخلف، بل نقرأ التاريخ بما يحمل للمستقبل.

نريد أن نضفي على الجامعة بُعداً إنسانياً، بمعنى ان نجعل الانسان هو الهدف، فلا نقرأ العلم من اجل العلم، ولا نتحدث ليقال إنا نتحدث، ولا نكتب قصيدة ليقال إنا نكتب شعراً، بل ان نقرأ العلم من اجل الحياة، ومن اجل ان نعمر الحياة من حولنا، ومن اجل ان نجعل العلم ينبض في كل عضو من اعضاء المجتمع، فالعالم يمنح مجتمعه، واسرته، وعلاقته الزوجية، حيوية، وبعداً ورفعة.

في العراق الآن لدينا تركة ثقيلة، فقد جثم صدّام على مجتمعنا، وعلى العراق الحبيب خمساً وثلاثين سنة، حيث عاث في المجتمع الخراب، واشاع ثقافة تختلف عن ثقافاتنا، فحاول استبدال ثقافة الوداعة التي يتمتع بها العراقي بثقافة العنف، وحاول اشاعة ثقافة البخل، بدلاً عن ثقافة الكرم التي سادت في المجتمع العراقي، وحاول ان يشيع ثقافة الجبن بدلاً عن ثقافة الشجاعة، والاستبسال، والتضحية التي أشاعها مجتمعنا، وحاول أن يشيع ثقافة التخلي عن المسؤولية، بدلاً عن ثقافة المسؤولية الرائعة التي كان يتمتع، ولايزال يتمتع بها الإنسان العراقي.

لقد حاول صدام بمنظومته التخريبية، أن يستفرغ المحتوى الداخلي للإنسان بكل ما يحمل من قيم، وبكل ما يختزن من إرادة قوية، وبكل ما يحمل من مفاهيم وقيم تنوّر به عقل الإنسان العراقي، ولكنه لم ينجح.

الجامعة أكاديمية صحيحة، لكن الأكاديمية هذه لا تريد أن تدرس العلم بعقلية مجردة بعيدة عن المجتمع، فالمناهج العلمية المطروحة تأخذ أولوية في طريقة التنظير، والتشخيص، والحوار، واستقطاب الطلبة على أساس الحاجة الواقعية، فتترتب أولوياتها على ضوء أولويات الدوافع، إلا أن هناك وقائع تحيط بالحقائق، ولابد من أن نأخذ بنظر الاعتبار الموضوعات، والمناقشات لكل مادة، ونطرح المنهج بشكل يمسّ الواقع، ويتكفل بإعادة بناء الواقع، ويعالج هذه المشاكل.

كيف نفهم الاختلاف المذهبي، بل كيف نفهم الاختلاف عموماً، وهل يوجد مجتمع ليست فيه اختلافات؟ أي مجتمع؟ في جمهورية أفلاطون مثلاً!؟ في جمهورية أفلاطون كل شيء كان يقوم على أساس التمييز، ابتداءً من الإنسان وحتى الحجر.

هل توجد عائلة ليس فيها اختلافات، هل توجد قرية بلا اختلافات؟ فالاختلاف ظاهرة سكانية اجتماعية، نحن لسنا مسؤولين عنها، مادام الاختلاف يمثل ثابتاً تكوينياً في المجتمع، لذا علينا أن نفكر في كيفية إدارة الاختلاف، وكيف نتحلى بأدب التعامل مع الآخر عندما نختلف معه، فلا يوجد عالم لا اختلاف فيه.

الاختلاف موجود حتى في العلاقات الزوجية، والذي يتصور انه مع زوجته ليس في اختلاف فهو في وهم، والذي لا يعتقد بوجود الاختلاف مع زوجته، فهو يحاول ان يلغي شخصية زوجته، من خلال اذابتها في شخصيته، أو أن يتنازل عن

شخصيته من خلال إذابتها في شخصية زوجته، عندما تتزوج ماذا يعني ذلك، يعني أنك تضمّ عقلاً إلى عقلك، وارادة الى إرادتك، وسلوكاً الى سلوكك، وعندما يكون لك مجموعة أولاد، ماذا يعني ذلك؟ هذا لا يعني انك امام مجموعة تأكل وتشرب فقط، الحيوانات تأكل وتشرب، بل إن وجود الأولاد يعني أن عقولاً أضيفت إلى عقلك.

إن الاسرة الكريمة، ليست تلك الاسرة التي لا اختلاف بين أفرادها، بل هي الاسرة التي لا أحقاد في صدور أفرادها بعضهم تجاه البعض الآخر، والتي يتميز أفرادها بأن عقولهم متنوّرة، تفهم الاختلافات فيما بينهم، ويكمل بعض افراد الاسرة بعضهم الاخر، حيث الاختلاف هنا عامل قوة، لا ضعف.

هذا في حدود الأسرة الكريمة، فكيف بالأمة الكريمة، والشعب الكريم، فيجب أن لا نستغرق كثيراً في اختلافاتنا، وإنما في كيفية تحويل الاختلاف، إلى حالة تعارف، وهذا ديدن القرآن الكريم:

((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)) (الحجرات/13)

الفحوى من الآية، أن ما من أحد إلا جاء من ذكر وأنثى، باستثناء عيسى (عليه السلام)، حيث جاء بمعجزة:

((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)) (الحجرات/13).

إن الإنسان عندما يكون جاهلاً، أو متجاهلاً، بمجرد أن تأتي شرارة الاختلاف بينه وبين الآخرين تستعر، وتتحول إلى مشكلة، لذلك عندما تجدون الشخصيات القوية، والمجتمعات القوية، والأسر القويّة ناجحة، لا تتصوروا أنهم لا يختلفون فيما بينهم، لكنهم يواجهون الاختلاف بعقل، وبهدوء، وفرقهم عن الآخرين أنهم يتعاملون مع الاختلاف بطريقة صحيحة.

بعض الثقافات تحاول أن تحوّل التعايش المذهبي إلى احتراب طائفي، وتحاول أن تستبيح دم الإنسان، هذه الثقافات الشريرة تستبيح دماء الأطفال، والسبب لأنهم من طائفة ثانية!!.

ثقافة الموت هذه، يحاول البعض إشاعتها في العراق، لكن حتى هذه اللحظة لم نعِش في العراق حرباً طائفية، اذا تحرينا الدقة في تعريف الحرب الطائفية كما حصلت في ألمانيا، هذه الحرب التي تسمى حرب (الثلاثين عاماً)، من 1618 إلى 1648، جرّت إلى مشاكل، وتنظير، وأدبيات دمّرت ألمانيا، وظلت ألمانيا بسبب هذه الحرب، دائماً هي الطرف المندحر أمام فرنسا المتوحدة السيادة.

لذا يجب أن نطلع على تجارب الآخرين:

((لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)) (يوسف/111).

لذا فإننا عندما نعود للتاريخ نريد أن نستحضر التاريخ، وندرس تجارب شعوب العالم لنتجنب نكساتها، وندرس تجارب شعوب العالم لنطلع على نجاحات تلك الشعوب، ونحقق نجاحات مثلها في مجتمعاتنا، لذا لابد من أن نعود إلى التاريخ حتى نستحضر التاريخ، ونستفيد منه.

إن ما يميز طالب الجامعة عن غيره أنه مسلح بالعلم، وأنه لا يترك الجامعة حتى وإن تخرّج منها، حيث يبقى طالباً من خلال اختصاصه، وسعيه للارتقاء بهذا الاختصاص.

أنا أدعو الجامعات إلى التفاعل مع العملية السياسية من دون تسييس الحرم الجامعي، لكن يوجد فرق بين أن نسيّس الحرم الجامعي، وأن نسيّس المنهج، ونسيّس العلاقة بين الطالب والأستاذ، وبين أن نحفظ لهذا الثالوث: المعطي، والمتلقي، والوسيط المنهجية البعيدة عن التسييس.

كل طالب أو أستاذ في الجامعة، عندما ينبري في آفاق السياسة في مكانات معينة، عليه أن يُدلي بدلوه، ويُلقي الضوء، وينوّر شعبه، ويقدم ثقافات مقابل ثقافات الموت، وعليه أن يعالج الترسبات الثقيلة التي ينوء بها العراق اليوم، جراء سياسة صدام، ولكن كيف؟.
لقد انتهى صدام بإعدامه، انتهى، وولّى إلى مزبلة التاريخ، لكن على الرغم من إعدام صدام، هناك ظواهر صدّامية: الرشاوى، التمايز، الفساد المالي، الفساد الإداري، عدم اعتماد موازين معينة، غياب العدل بين الناس، ولا ينبغي أن نلخص رفضنا للنظام السابق بشخص صدام، ونتقبل الحالة الصدامية، لذا علينا أن نتحرّى الظواهر الصدّامية، ومثلما تم تطبيق القصاص العادل بشخص صدام، علينا أن نطبّق القصاص بهذه الظواهر السيئة.

إن الطائفية، والإرهاب، والتمايز الطبقي بين الناس، وإقصاء المرأة من مجالات المجتمع المختلفة، هي من الظواهر الصدّامية، هناك الآن ثقافات ضد المرأة، ثقافة تريد أن تكبّل المرأة، وتأسرها بتقاليد بالية، حتى أن البعض يعتقد أن ذكر اسم المرأة عار! هذه العادات والتقاليد بعيدة كل البعد عن الفكر الإسلامي، ففي الإسلام كل العقود التي تبرم فيها إيجاب وقبول، ومنها عقود الزواج، والزواج أهمّ مشروع في حياة الرجل والمرأة، ومن حق الرجل أن يختار زوجته، ومن حق المرأة أن تختار زوجها، لكن - للأسف -، كثير من العادات والتقاليد، تعطـّل حق المرأة في اختيار زوجها، بحجج واهية لا تعود إلى الشريعة في شيء، كما أن هذه العادات المتخلفة حرمت المرأة من العلم، وحرمتها من الجامعة، وحرمتها أحياناً من العمل السياسي.

كما أن هناك ثقافة ثانية، هي ثقافة التحلل، ثقافة الأنوثة، والتي تصور المرأة على أساس ثقافة الجمال المادي، جمال الإثارة وما سواها، نحن لسنا ضد جمال المرأة، ولكن للمرأة جمال آخر هو جمال العقل، وجمال الخلق، وهذا الجمال المعنوي لا يبليه زمن، ولا طيّات الجبين، ولا الشيب وما شاكل ذلك، صحيح أن المرأة عندما تكون في العقد الرابع، أو الخامس، أو السادس، تكون قد فقدت جمالها المادي، ولكنها تظل متمتعة بجمالها المعنوي.

لكن هناك ثقافة أخرى، أسمّيها الثقافة الثالثة، وهي الثقافة التي تدفع بالمرأة إلى مسرح الحياة، وتجعلها تحمل إرادة متحررة، وعقلاً يفكر، وسلوكاً يطبّق ما تعتقد به المرأة، وقد أثبتت المرأة العراقية في مجالها السياسي، عندما كانت معارضة أنها قوية لدرجة أنها واجهت أعتى نظام، وأكبر دكتاتور عرفه التأريخ السياسي العراقي.

لقد عانت المرأة العراقية في زمن نظام صدام، فقد تلوّت السياط على ظهرها في السجن، ومن النساء من نالت شرف الشهادة، وعلى الرغم من هذه التضحيات حاول البعض إبعاد المرأة عن أروقة السياسة في مرحلة الحكم! وهذا ما رفضناه.

لنعُد إلى القرآن الكريم، ونرى كيف يحدثنا عن المرأة، حيث يطرح لنا القرآن الكريم على مسرح التاريخ، مثال المرأة التي تعيش الى جانب أعتى دكتاتور في التاريخ وهو فرعون:

((وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)) (التحريم/11).

كما يضرب القرآن الكريم مثلاً عن ابنة نبي الله شعيب (عليه السلام)، وهي تحاور أباها، وتشير عليه برأيها:

((قالت إحداهما يا ابت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين)).
كما يضرب لنا مثلاً آخر عن المرأة الحاكمة، والتي تتميز بحس المسؤولية، على الرغم من أنها تمتلك القوة والسلطة:
((قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (29) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (30) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (31) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ

أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ (32) قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (33) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (34))) (النحل/29-34)

أدعو لأن تأخذ المرأة دورها في كل مجالات الحياة، وأن نتخلص من ثقافة العادات والتقاليد البعيدة عن الشريعة السمحة، كما أن علينا أن نبتعد عن ثقافة الإثارة، والتي يحاول البعض إلصاقها بالمرأة.

إن الطالب وهو في رواق الجامعة، عليه أن يعلم أن طلب العلم ليس رغبة عابرة، أو هوى في النفس؛ لأن الطالب بعد أن يتخرج من هنا، سيدخر ما أخذه في الجامعة كأساس لإقامة الصرح الاجتماعي، فالمجتمعات التي بُنيت على أسس علمية، هي التي حققت العدالة، لذلك يجب أن ينطلق الطالب أولاً من موقع اختصاصه في الدرجة الأساسية، ثم عندما يُضفي بُعداً إنسانياً واجتماعياً على علمه، يسهم في بناء المجتمع.

أتمنى لهذه الجامعة العريقة كل التوفيق، وأدعو أبنائي، وبناتي إلى التزود من علومها، ليسهموا في بناء المجتمع بناءً علمياً، متمنياً لهم كل الموفقية، كما أتمنى لأخوتي، وأعزائي من الأساتذة الأفاضل، وخصوصاً السيد رئيس الجامعة كل الموفقية، والمحبة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الشباب مسؤولية الخطاب

كلمة الدكتور إبراهيم الجعفري في ملتقى الشباب الأول الذي أقامته مؤسسة الشباب العراقي بتاريخ 2007/11/17

قال الله (تبارك وتعالى)، في محكم كتابه العزيز:

((قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ)) (الصافات/102)

عندما يكون الحديث حول الوسط الشبابي، وعندما يكون المخاطب شاباً، يكون المتحدث أمام مسؤولية إنسانية تنفذ إلى العمق حيث الكمّ الهائل من الشريحة الاجتماعية التي يمثلها الشباب؛ لأن أعمارهم تمتد بين الخمسة عشر عاماً إلى ما يقرب من الأربعين عاماً، وحين نوجّه حديثنا إلى الشباب فإنما نوجّه الحديث لعنفوان القوة، لأن الإنسان يبلغ ذروة قوته في مرحلة شبابه.

حين يتوجه الحديث إلى الشباب معنى ذلك أننا نوجّه الحديث إلى البداية القوية، التي يتحرر بها الشعب من رواسب الماضي، ونوجه الخطاب إلى العزيمة والإرادة الصلبة التي لا تنحني أمام ضعف، وتهاون من موقع العاطفة، أو من موقع الجهل، كل ذلك يكمن في شخصية الشاب.

إن الأمم الحية رعت شبابها رعاية تتناسب مع طموحاتها وآمالها وتوظف طاقات شبابها توظيفاً يؤهلها لأن تتجاوز التحديات في المآزق الحرجة، وتتطلع إلى تحقيق الأماني والطموحات من خلال إيمان شبابها بذلك.

الجيل السابق كانوا قد أعاروا جماجمهم، وتعلقت أجسادهم على أعواد المشانق؛ من اجل الإطاحة بالدكتاتور الذي جثم على صدر العراق الحبيب لم يبخلوا بكل ما لديهم، منهم من نال شرف الشهادة، وسُجن منهم من سُجن، وهاجر من هاجر، واختفى من اختفى.

البناء مسؤولية الجيل الجديد

بقيت هوية الرفض والإصرار على التحرير سمة بارزة وبالغة الأثر طبعت مسيرتهم؛ فكان ذلك الجيل قد أبى إلا أن يكتب تاريخ العراق المعاصر بأزكى الدماء، وهكذا تكللت مسيرتهم المظفرة بالانتصار على عدوهم وعدو الإنسانية.

على الجيل المعاصر اليوم مسؤولية البناء، بناء العراق الجديد، وهو أيضاً وإن كان قد خرج من معركة دامية حامية الوطيس ضد الدكتاتورية لايعني أنه خرج من

ميدان المواجهة تبقى على عاتق الشباب مسؤولية المواجهة ضد حروب تعددت عناوينها لكنها بقيت من حيث المفهوم والعنوان واحدة، وظلت تتطلب تضحية، وشجاعة، واستبسالاً تلك هي معركة الإرهاب.
تركت هذه الصفحة السوداء صفحة العراق للسنوات القليلة التي مضت آثارها الوخيمة في الكثير من بيوت العراقيين، وعبثت، وفجّرت، واغتالت، وبضّعت، ومثّلت بالكثير من أجساد الضحايا، ويبقى الشاب ينظر إلى هذه المآسي من موقع الرفض لكل هذه الحالات، ويتطلع إلى صناعة عراق جديد، هذا العراق الذي يكون أمانة في أعناقنا.
إن حركة الشباب في العراق ليست بمعزل عن ظاهرة طفحت على السطح العالمي في كل بلد من بلدان العالم.. الشباب اليوم في كل العالم يرسمون معالم المجتمعات الجديدة بناءً فكرياً، ونشاطاً اجتماعياً، وتصدياً سياسياً.
الناظر إلى المسرح الدولي يجد أن الشباب شقوا طريقهم إلى التصدي، وهذه سمة من سمات المجتمع الحي لأن خزين القوة، ورصيد الطاقة، التي يملكها الشاب خصوصاً حينما تتوافر له أجواء البناء المعرفي، والمعنوي، والمادي، والعلمي، تؤهله لأن يتصدى للنهوض بمثل هذه المهمات الصعبة.
لذلك ليس سراً على أحد أن دخول الشباب في الكثير من بلدان العالم إلى أروقة السياسة، والتصدي واعتلاء المنصات السياسية، واعتماد الخطاب، والتعامل لبناء المجتمع قد أصبح سمة حضارية معاصرة نعتز بها، ونعمل من أجل نشرها في مجتمعنا.

الشباب ومواجهة التحديات

من دون شك أن مثل هذه الطموحات تقف أمامها عقبات كثيرة، وتحديات كبيرة جداً، هذه التحديات ليست الأولى، ولن تكون الأخيرة.. بطبيعة طريق الصعود نواجه مثل هذه المحطات، ولا يمكن لسالك طريـــق الصعود إلا أن يعقد العزم على أن يتحلى بإرادة قوية فولاذية، ويواصل طريقه من دون تردّد؛ فأملنا كبير جداً، وتناسب مع حجم ثقتنا بأبنائنا وبناتنا، وهم يرسمون معالم العراق الجديد.
لابد لنا من أن نواجه هذه الصعوبات والتحديات ببصيرة نافذة، ليس من موقع الاستسلام، إنما من موقع معالجة هذا الواقع.
أنا أعتقد شخصياً أن الشباب عندما ينظرون إلى ما يحيطهم من واقع اجتماعي يجدون أنفسهم أمام خيارات ثلاثة:
- الاندكاك بالعرف الاجتماعي إلى حد الذوبان، وتأبى عليه مبادؤه (الشاب)، وقيمه، ومسئوليته الوطنية أن يذوب بكل شيء من حوله.
- خيار آخر هو: التمرد والانفصال عن هذا الواقع، وأن يشق الشاب طريقه بعيداً عن مجتمعه، وهذا النوع من التمرد هو الآخر هروب، ولو كان إلى الأمام، وتأبى

عليه (الشاب) مروءته، ووطنيته، ووفاؤه لتراثه ولحاضره ولشعبه أن يسلك مثل هذه الطريق.

- لن يبقى أمام الشاب إلا خيار ثالث هو: أن يشمّر عن ساعد الجد، ويتحلى بعقلية واقعية، وبوعي نافذ؛ ليمارس عملية رفض الخطأ وقبول الصواب من موقع الوعي، ويواصل مسيرته رافضاً كل خرافة، وكل نعرة، وكل لافتة تتشدّق باسم العلم والعلمية، وباسم الاعتزاز بالشأن التاريخي، وقابلاً لكل ما يمتّ إلى فكره، ومبادئه، وقيمه وإنسانيته بصلة.

من هنا تجد نفسك أمام شاب يعرف ما يرفض، ويعرف ما يقبل، ليست عقدة عندما نرفض شيئاً، وليست عقدة عاطفية أن نقبل هذا. إنما ننطلق في رفضنا وقبولنا بناءً على بصيرة كما يخبرنا النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) عن الله (عز وجل) في محكم كتابه العزيز:

((قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)) (سورة غافر/14).

الشاب لا يستمد قيمته من خلال سنوات عمره فقط، ربما يمضي الزمن والعقل بعدُ لم يتطور، وربما ينفتح الشاب بعقليته فيتزود معرفياً، ويقوّي إرادته، ويربط نفسه بقيم أصيلة، ويعمل من أجل بناء المجتمع.

الشاب كبير الحجم، وإن كان صغير العمر؛ لذا نتطلع إلى شباب يدركون جيداً عظمة أن نجرّب مسؤولية البناء لشخصية الشاب، ومسؤولية الشاب عن منابت الشباب بالتربية، انطلاقاً من البيت واستمراراً بالمدرسة وانتهاءً بالمجتمع والسياسة، كلها تزوّد، وتموّل الشباب بثقافة وطنية أصيلة، ولكن تبقى إرادة الشاب في انتقاء ما ينبغي أخذه، وما ينبغي رفضه هي الفاصلة التي تحدد مساره.

من هنا تميز الشباب بأنهم يحملون إرادة قوية، ربما أوقعت بعض علماء النفس الحديث مثل (كرندر) و(فرويد) بالمغالطات حيث اتهموا الشباب بأنهم ظاهرة تمرّد، وأنهم رحلة ضياع.. أنا لا أعتقد ذلك، بل بالعكس نحن حينما نلتقي الشاب، نلتقي عقلاً متفتحاً يريد أن ينتقل من التلقي بالطاعة العمياء إلى التلقي بالقناعة، كما نلتقي الشاب وهو يخوض معركة الحياة من حوله، وبناء الحياة من حوله، يلتقيها بإرادة قوية، ويدخل عالم الرجولة بما يحمل من معاني البناء، وليس بما تعكسه من نزعة الفحولة المقيتة، حيث تجمّد فيه العقل، وتجعله سجين العاطفة، أنه يرتبط بعشيرته إلى حد الصنمية، وبتأريخه إلى حد الصنمية، أنه يُصِر على أن يقوم برحلة جديدة تقوم على وعي نافذ، وبصيرة مستوعبة لكل ما حوله.

الشباب والوحدة الاجتماعية

إن آمالنا الكبيرة، وطموحاتنا العريضة، لا تقف عند حد العراق اليوم بما هو عليه، وما ينبغي أن يكون عليه، فهناك بون شاسع. نعيش في العراق وهو من أغنى بلدان المنطقة إن لم يكن أغناها على الإطلاق، لكننا نعيش في بلد، شعبه فقير، بل أُفقر؛ لأنه غنيّ.

يرث الشباب عن آبائهم وأجدادهم مجداً موشحاً بالوحدة الاجتماعية، على الرغم من التنوع عبر التاريخ، لكن هذه الوحدة تهبّ في وجهها بعض الأعاصير المتخلفة من هنا وهناك، وتحاول أن تمزّق صف الشعب العراقي، والعراق اليوم في ضوء التطورات التي حصلت في العالم أمام ثورة المعلومات، أمام القفزات التي تموّل الشرائح الاجتماعية المختلفة عموماً، والشباب خصوصاً، نجد للأسف الشديد، ربما لم يتم اللحاق حتى اللحظة بطريقة تتناسب مع قيمة هذه الوسائط، وسائط المعلومات والإنترنت بالشكل المطلوب.

رفض الشباب للمناطقية والعنصرية

هناك تخلف بالمناهج، وللأسف الشديد، دول العالم حسبما تكشف بعض الإحصائيات، أن أكثر من ثمانين في المائة من الشباب في مقاهي (النت) يستخدمون (النت) لثقافة السوء، وثقافة الهدم. بينما نريد، ونتطلع من هذه العولمة والعالمية في المعلومات، وبعد أن اختزلت الجغرافية، واختزل البعد القاصي الى الغرفة الكونية، وإلى البيت الكوني، أن يكون الشاب قد حضر المعرفة في المكان الآخر، والثقافة التي تنتمي إلى الآخر، والحضارة التي تنتمي إلى الآخر، لينطلق بثقة منفتحة عليها. يعرض حضارته على الآخرين ويبحث عن المشترك مع حضارات الآخرين، حتى يضفي على أدائه انتماءً إنسانياً، لكي لا نحوّل الشاب الى ظاهرة مناطقية، أو عنصرية، أو طائفية، أو قومية، بل نجعل من الشاب ظاهرة إنسانية، يلتقي فيه الشاب هنا بالشاب هناك في الكثير من المساحة المشتركة التي تنم عن ولادة حضارة جديدة، توشح فيها حياة الإنسان بما هو إنسان، بإكليل التميز والتقدم من دون ان تكون رازحة تحت نعرات العنصرية وغلبة المادية.

لا تتأتى مثل هذه القوة، والإصرار، والزاد الذي يتمول به شبابنا اعتباطاً إنما ينبغي ان نفكر كثيراً كيف يتمول شبابنا بزاد المسير.

العواطف تجعلك منشداً آنياً لقضية ما، إنما عقلنة العاطفة، والتزود بالفكر الإنساني الخلاق، الذي يجعلك اكبر من الجغرافية التي تقطن فيها، وأبعد من الزمن الذي تعيش فيه، لابد من ثقافة إنسانية، ترتبط بقيمنا، ومبادئنا، وتراثنا، بما زخر به من قيم، وبما حفل به من مواقف يشهد له بها القاصي والداني.

الشباب.. الإبداع والمستقبل

حتى يتفتـّح شبابنا على التزود بهذه الثقافة، الثقافة التي تنعدم فيها المسافات بحثاً عن الحقيقة:

(اطلب العلم ولو في الصين)

الثقافة التي ترفض الركود والمراوحة:

(اطلب العلم من المهد إلى اللحد).

الثقافة والعلم، الذي يرتقي بالشاب على سُلـَّم الصعود من دون ان يستسلم إلى أن للعلم سقفاً محدداً:

((وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ)) (سورة يوسف/76).

الثقافة التي توظف الإلكترون للطب، والأجهزة المستخدمة لتوفير اتصال قوي وخدمات قوية، لا لإشاعة الحرب النووية، لذلك نرفض منطق التسلح النووي في العالم كله؛ لأنه ينذر بدمار وشيك -لاسمح الله- ، والذي قد لا تقف آثاره، وتداعياته عند منطقة دون أخرى، هذا العلم، وهذه الثقافة المرفوضة من شبابنا.

عندما نحدّث شبابنا، نحدثهم على أنهم الرافد والمنبر الذي سيتدفق قريباً في كل حقل من حقول المجتمع، وفي كل مجال من مجالات الاختصاص من دون استثناء، نتحدث مع الشاب، نتحدث مع مهندس المستقبل، وأديب المستقبل، وفنان المستقبل، وطبيب المستقبل، واقتصادي المستقبل، بل قدم لنا شبابنا في حاضرهم اليوم بأنهم وهم في بداية دخول عالم الشباب تفتقت طاقاتهم، واستطاعوا أن يسجلوا حضوراً هنا وهناك فاق تصور الكثير ممن يشاهدهم.

اليوم نجد الشباب العراقي، في مجال الأدب، والشعر، والفن، والرياضة، والتخصصات المختلفة أنهم استطاعوا أن ينطلقوا من محنة العراق فيحولوا هذه المحنة إلى دوافع للعمل والإصرار على المضي في طريق البناء أكثر من ذلك، نجد أنهم استطاعوا بمختلف خلفياتهم المذهبية أن يكسروا إرادة الشر، إرادة النعرة الطائفية، التي تحاول أن تبضّع بجسم مجتمعنا.

دور الشباب في الحفاظ على مجتمع التآخي والتعايش

نحن نحافظ على اللحمة الوطنية العراقية، ليس فقط من موقع الشعار، بل من موقع وعي الآخر، ووعي المشترك، الثقافة التي تجعلك نافذاً في شخصية الآخر، ومؤثراً فيه ، أنت تشعر أن الوحدة الوطنية العراقية ليست مسألة ادّعاء، إنما الوحدة الوطنية العراقية تقوم على معرفية تدوّرت عبر التاريخ، وتركت آثارها وبصماتها في كل صفحة من صفحات تاريخنا المجيد.

لقد عاش آباؤنا وأجدادنا طيلة التاريخ متحابين، ومتآخين، ومتعايشين ربما شهدت بغداد سجالاً طائفياً، ولكن كتـّاب التأريخ من زاوية اجتماعية، نظـّروا لمثل هذه السجالات والحروب، نظـّروا على أنها وافدة إلى العراق، ولم تنطلق من أرض العراق، ربما شهدت بغداد مداً عثمانياً ضد الشيعة، أو مداً صفوياً ضد السُنة، ولكن هذه الامتدادات ليست من الشخصية العراقية.

لا يكفي ان يكون لنا تأريخ قوي، بل لابد من ان نحافظ على حاضرنا، ولابد من ان نحول التأريخ من خلال فهمنا لطبيعة الأسباب المرتبطة بالنتائج، نحـوّل التأريخ إلى حاضر، وعندما نفهم، ونصر على فهم التأريخ فهماً حقيقياً في صناعة الإنسان؟ وكيف نجنب بلدنا ومجتمعنا الشرور؟ عندئذ سنجد أنفسنا، أننا نقرأ التأريخ قراءة مستقبلية، وان التأريخ تحول الى نافذة نطلّ من خلالها على أجيالنا القادمة.

ما نعيشه اليوم كان مستقبلاً في الماضي، وما نقرأه في التاريخ اليوم كان حاضراً في الماضي، وما نستشرفه في المستقبل سيتحول إلى حاضر عند الجيل القادم، علينا أن نفكر ببناء هذا الجيل القادم.

بين الفردانية والتعددية

ظاهرة في المجتمع بعد سقوط صنم الفردانية، الفردانية في السياسة، في الجيش، والفردانية في الحالة الحزبية، وفي كل شيء، والتي جسّدها صدام بأبشع صورها سقطت، وكان من الطبيعي أن ترث الفردانية تعددية واضحة، تمظهرت على شكل أحزاب سياسية متعددة، ونشاطات سياسية متعددة، مؤسسات المجتمع المدني، وتمظهرت كذلك على شكل مدارس مختلفة في الرؤى والسياسة.

الرأي والرأي الآخر

هذا هو المطلوب في عالمنا اليوم، عالم يُحترَم فيه الرأي والرأي الآخر، لا نفكر كثيراً لماذا نختلف، إنما نفكر كيف ندير العلاقة من موقع الاختلاف؟ وكيف نحسن التعامل من موقع الاختلاف والاختلاف حقيقة لا تنفك عن الإنسان بأي حال من الأحوال.

من يفكر بأن يجد عالماً خالياً من الاختلاف فهذا يعيش في نرجسية قاتمة، وظلام دامس في تخيلاته، وسيكتشف هناك في العمق أنه يختلف حتى مع نفسه، لذلك لا وجود لعالم خالٍ من الاختلاف في وجهات النظر، إنما لنفكر كيف ندير هذا الاختلاف؟ ولا نقمع الآخر، ولا نضيق ذرعاً بالآخر، لا في البيت، ولا في العلاقة الزوجية، ولا في المدرسة، ولا في السياسة، ولا في الحزب، ولا في الحكم، ولا في كل منتدى من المنتديات.

المطلوب.. أن نجعل بوصلة الاختلاف في وجهات النظر تتجه باتجاه الآخر، والمفروض أن نؤنسن الآراء بحيث تنطلق من الإنسان، وتستهدف خدمة الإنسان، وتتحرك في إطار فكر الإنسان، وعواطفه...

بين الفكر والعاطفة

بقي الفلاسفة من خلال حواراتهم في أروقة الفكر، والفلسفة، والتعاطي المعرفي المجرد، بقوا كباراً في التأريخ، ومن دون شك أنهم أثروا المسيرة الفكرية، وقدموا لنا خدمة كبيرة من خلال تصديهم لقمة الفكر، لكن الأطروحات الفلسفية المجردة ستبقى رهينة النخبة، وستبقى سجينة لعدد معين عبر التاريخ، لذلك عندما تريد أن تطـّـلع على آراء (سقراط)، و(أفلاطون)، و(أرسطو)، و(الاسكندر)، و(ديكارت)، و(هيغل)، و(الفارابي)، و(ابن سينا)، و(جون لوك)، و(هوبز)، وكثير من الفلاسفة، تجد نفسك، لابد من أن تدخل إلى الثقافة الخاصة، و تهيء لنفسك أدوات من العلم، والمقدمات حتى تفهم ما أراد الآخر.

أما الفكر الإنساني المبسّط الذي جاء لخدمة الإنسان فسرعان ما نزل من عالم العقل إلى عالم القلب، وسرعان ما مَزَجَ، بين عمق الآراء الفلسفية، بعواطف الناس، ولذلك تجد الفكر التياري، وتجد الفكر الإنساني، تجدهما في محلات الباعة في السوق، وتجدهما في الأزقة وأنت تتجول بين الناس، تجد المزارع، والعامل، مثلما تجد الطبيب، والمهندس، وغيرهما كلهم يعكسون لك حالة الفكرة المؤنسنة، والفكرة الموشحة بالحب والعاطفة.

لا قيمة للفكرة ما لم تأخذ حصتها من العاطفة، ولذلك يمزج القرآن الكريم مزجاً رائعاً بين كل فكرة مع العاطفة ويأبى إلا أن يوشحها بإكليل العاطفة:

((وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)) (سورة الروم/21).
مفهوم ((من انفسكم)) معرفياً، أسقط كل الادعاءات التي جعلت ان الأنثى جنساً دونياً أقل من الرجل، لكننا لا نقف في الآيات القرآنية الكريمة عند حدود أدلجة، وتنظير، وتقديم هذه الفكرة، من دون أن تلحقها:
((وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً)) (سورة الروم/21).
فكرة تخرج من حيزها في الذهن، لتتحرك في فضاء القلب والعاطفة:
((وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ)) (سورة الحجرات/7).
هو إيمان، لكنه من موقع الحب:
((أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ)) (سورة الحديد/16).
لذلك أدرك المصلحون عبر التاريخ، ان الفكرة عبر التأريخ مهما كانت قوية، فلابد من ان تنفذ إلى قلب المتلقي الاجتماعي، والا تبقى أسيرة لمجموعة قليلة من الناس، فارتسمت على شكل تيار.
ما من مصلح، الا وتجد حوله مجموعة يجيدون فن مزج الفكرة بالعاطفة، ليوجدوا مجتمعاً صالحاً من خلال عملية الإصلاح، من هنا كان أنبياء الله (سلام الله عليهم اجمعين)، حملوا فكراً تيارياً إصلاحياً، وتعدى ذلك إلى كل قادة المجتمع، وفي كل بلد من البلدان، إنهم فكروا بسرعة كيف يحولون فكر النخبة، ليس من موقع الانفصال والاستغناء عن النخبة، النخبة ليست عيباً أبداً:
((فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)) (سورة النحل/43).
ولكن لا ينبغي أن تبقى الفكرة مقيّدة في عقول النخبة فقط، بل ينبغي تحويلها إلى تيار اجتماعي من خاصة الناس إلى عوامّ الناس، حتى يتفاعلوا معها بأهداف محسوسة، وبعواطف لا يشك فيها احد، ولا تشوبها شائبة.

أثر التيارات في الأمم
من هنا نجد ان الكثير من أمم العالم عاشت حالات التيارات في وقتها، ووجدنا كيف تحول الكثير من القادة، كـ (المهاتما غاندي) و(نهرو) و(مانديلا) و(ديغول)، تحولوا إلى تيارات، مات ديغول وبقيت (الديغولية)، وظل ساسة فرنسا متأخرين، يعيشون عيالاً على قادتهم السابقين، لأنهم تحولوا إلى تيارات، خرج (مانديلا) من الحكم ولم يخرج من التاريخ، لأنه تحول إلى تيار، وبقي (المهاتما غاندي)، لأنه تحول إلى تيار، حيث قهر اكبر إمبراطورية في التاريخ الحديث والمعاصر، بثورة لم يحمل فيها السلاح، إلا سلاح التيار، ولذلك قال (وينستون تشرشل): لا معنى لكلمة بريطانيا العظمى من دون الهند وأمة الهند، واستطاع غاندي ان يحقق لها استقلالاً من دون ان يحمل سلاحاً سوى سلاح التيار أيضاً.

هذا التيار لا يولد من شخصية احد، التيار يولد نفسه من خلال منظومة فكرية، ويتجه لتحقيق أهداف وطنية إنسانية محددة، يلمسها الجميع، ويؤمن بها الجميع، أو على الأقل المجموع يؤمنون بها، ولذلك الرموز وما أكثرها، التي تبدو على مسرح التيار، ليس بالضرورة أنها هي التي تولد التيار، بل إن التيار هو الذي يولدها، وأنها جزء من التيار وليس التيار جزءاً منها، وهي في خدمة التيار من دون أن تستخدم التيار.

التيار قدر وطني، وقدر اجتماعي، ووعد تاريخي لكل امة يراد لها ان تنتصر، انك تجد تياراً تعبوياً جامحاً يتحرك في أعماق المجتمع، مرة يأخذ نمطية الرفض عندما يواجه ديكتاتورية أو احتلالاً، وأخرى يأخذ نمطية البناء، عندما يريد ان يثبت مبادءه، ويثبت رجالاته الوطنية على طريق البناء والتحرك، هذا هو المعنى الإنساني لمفهوم التيار، وحتى يكون التيار تياراً وطنياً لا ينبغي ان يستبدل الانتماء الوطني بشيء آخر..

يجب ان يحترم منظرو التيار كل الانتماءات، سواء أكانت على خلفية دينية، ام مذهبية، ام سياسية، ام قومية، ولكن مفهوم التيار من خلال تدفقه من منبع الفكر، ومنبع العاطفة يفترض فيه أنه يتسع، ويرقى الى حيث العراق كله.

الولاء للوطن فقط

عندما نسلم معاً أن الوطنية العراقية هي سر وحدتنا، وهي سر انتصارنا، متى ما وضعنا الانتماء العراقي فوق كل الانتماءات، ومتى ما وضعنا الولاء الوطني فوق كل الولاءات فنحن بخير، وسيجد بعضنا البعض الآخر عوناً له؛ لأن همّه كبير يرقى الى همّ العراق كله، ولذلك يجد بكل حزب، وبكل جهة، وبكل طاقة نامية، يجد فيها عوناً له في بلوغ أهدافه، والارتقاء الى مستوى المسؤولية، أما عندما نشخصن العراق، ونحاول ان نختزله بذواتنا، فمن هنا تبدأ المشكلة، ومن هنا تبدأ الفرقة، فبدلاً من ان نحتضن القوى سنحارب القوى، وهكذا يبدأ المجتمع باغتيال طاقاته.

ترددت في ملفات الثورات والأمم التي خرجت عن مسار الإنسانية، ان الثورة تأكل ابناءها، لماذا؟ لماذا تأكل أبناءها؟ لماذا لا تحتضن ابناءها؟ لماذا لا تتكامل مع أبنائها؟ من الذي حظر على الآخرين ان يقدموا ابناءهم وبناتهم من موقع الكفاءة لبناء العراق؟ ومن الذي أعطى الحق لأحد بأن يحتكر الكفاءة بداخله الشخصي، والأسري، والحزبي، والجبهوي، والقومي، وكل شيء؟

العراق واسع، وإذا ما أردنا ان نختزل العراق، فأي قوة توافرت مثل القوة التي توافرت لصدام، فقد واطأه الوضع الإقليمي وواطـأه الوضع الدولي، وتوافرت له من أسباب القوة ما لم تتوافر لأي دكتاتور من قبله، ماذا كانت نتيجته؟ انتهى، وبقي هذا الشعب.

العراق في القمة

هذا الشعب بكل ما آتاه الله (تبارك وتعالى)، من طاقات، وبكل ما منّ عليه من خيرات وثروات، اراد له ان يحتل موقعه الطبيعي بين أمم العالم، مثلما كان العراق على قمة في التاريخ، حتى كأنك عندما تريد ان تقرأ العراق، وتقرأ تاريخ العراق، لابد من ان تتسلق إلى قمة التاريخ، وإذا أردت ان تعرف حجم العراق الحضاري، لابد من ان تتسلق على قمم الحضارات، لأنك تجده في القمة، وليس في الوادي ولا حتى على السفح، ليست هذه ادعاءات، هذه الأمانة التاريخية، والنظرة الإنسانية لفهم التأريخ.

مهد الحضارات (العراق)، حينما كان قوياً لم يستخدم قوته لقهر احد، على العكس من ذلك عاش، ورفل الآخرون، ممن عاشوا ورفلوا واستفادوا من قوة العراق وهم يتغنون بالعراق، المنصفون منهم وما أكثرهم عندما التقي الكثير من قادة الدول كانوا يحدثونني عن تاريخ العراق، يتحدث كأي عراقي لأنه منصف يتحدث عن تاريخ العراق، والشعر العراقي، وفلاسفة العراق، والمؤرخين، وعلماء الاجتماع، والمهندسين يتحدثون عن كل هؤلاء ولايزال العراق معطاءً يدخر الكثير من الطاقات.

يجب ان ننشر ثقافة البناء والتنمية، والابتعاد عن ثقافة الاستهلاك التي تجعل مجالسنا تثير عقداً وحقداً على الآخرين فضلاً عن عدم إسهامها بالبناء والإعمار... نحن بأمسّ الحاجة اليوم إلى مراجعة الذات مراجعة واعية تصل إلى مستوى الاستيعاب، ونحتاج إلى صراحة تصل إلى مستوى الشجاعة، شجاعة من يقف أمام أخطائه بصراحة ويعترف بها، وبعد ذلك يعزم على ان يمضي مشواراً جديداً، ويستبدل الهدم بالبناء.

لذلك، الكل ينتظر من الشعب العراقي أن يبرهن للعالم كله بأنه شعب كان قوياً حين أصرّ على رفض الديكتاتورية، ورفض الاحتلال، وقوياّ بنفس الدرجة، على نذر نفسه للبديل المشروع، ويبني نفسه بنفسه، لسنا بحاجة إلى الآخر، وعندما نحتاج الآخر نجيد فن التعاطي معه من موقع الثقة.

العراق أمانة في أعناقنا

العراق أمانة في أعناقنا جميعاً، يجب ان نفكر بالعراق، ليس فقط بحجم الحكومة، الحكومة مؤسسة من مؤسسات الدولة، وتقوية الحكومة تسهم في تقوية الدولة، إنما نفكر بحجم الدولة العراقية، بمعنى الدستور الدائم، والبرلمان.

هذا الظرف الذي نعيشه الآن، وشبابنا يعيشون في مرحلة يمكن تسميتهم بـ (المخضرمون) على الرغم من صغر سنهم، ولكنهم لا يتجشمون عناء قراءة الكتب كثيراً، لكي يتعرفوا على صدام، ويعودوا الى الذاكرة، الى خمس سنوات مضت فقط، سيجدون صورة الإجرام والبديل عن الديمقراطية لم تتلاشَ اصداؤها من ذاكرة التاريخ بعد، لذلك هم مخضرمون، ليس بثقافة المقروء، بل بثقافة المحسوس والملموس.

تدركون جيداً أن الكثير من طموحاتنا لم تتحقق بعد، وان الكثير من التحديات لم تزل في الطريق، هذا صحيح، لكن الأصوات التي تتحدث عن المآسي، ينبغي ان

تبرهن أنها تتحدث عن المآسي في طريق الحل، وتتحدث عن المشكلة بعقلية الحل، لا أن تتخذ من المشكلة مجالاً للبكاء على الأطلال والمراوحة فقط.

مسيرة هذا الشعب صاعدة وماضية

كلي أمل وثقة، ان مسيرة هذا الشعب صاعدة وماضية، نحو المستقبل، على الرغم من التحديات والصعوبات الموجودة، وعلى الرغم من الكثير من عوامل النقص التي منيت بها التجربة، ولكن تبقى العملية السياسية، ولله (جل وعلا)، الحمد والشكر، أنها تمضي باتجاه احترام التعددية، والحفاظ على الدستور، والحالة البرلمانية، والتعاطي مع الحالة الجديدة.

شعبنا بمأمن من الفتنة الطائفية

هذا هو العراق الجديد، ولعلكم إذا عُدتم الى تاريخ الأمم والشعوب من موقع المقارنة بين بدايتنا وبدايتهم، وليس بين بدايتنا مع حاضرهم، ستجدون ان بدايتهم لم تكن أحسن من بدايتنا، حروب أهلية طاحنة، الاتحاد السوفيتي (السابق)، والصين، واليابان، وفي أميركا، وفي بريطانيا، حروب أهلية طويلة وطاحنة، أما شعبنا، فقد استطاع بوعيه ان يتجنب حدوث حرب طائفية.

أنا لا أنكر ان هناك حرباً بين طائفيين، لمجاميع مقيتة من (السنة)، و(الشيعة)، تتبادل الشتائم والخطاب الاقصائي، وسمحت لنفسها ان تقتل الآخر، لكنها لم تتحول إلى حرب طائفية، الطائفة السنية، والطائفة الشيعية، بقيتا بمأمن من الفتنة الطائفية، ولذلك اختنقت فيها على الرغم مما أعدّ لها في الغرف المظلمة، وأسلحة الفتك، وثقافة التكفير الا ان كل هذا باء بالفشل، وبقيت الأوساط الشيعية والسنية تذرف دمعاً على القلة التي هجرت من مناطقهم.

لست مغروراً بشعبي، عندما أقول: على كل مسؤول ان يتعلم من الشعب العراقي، انه شعب المعلمين، الشعب الذي يربي، ويعطينا درساً.. مادة الوطنية العراقية ليست عواطف مجردة، بل هي عواطف مستوحاة من القيم والمبادئ، ومن هنا ينبغي ان تكون ثقافتنا الجديدة، ثقافة تجمع بين الاصالة الموغلة بتاريخنا، والنافذة في أعماق وجداننا وشعبنا، وكذلك تجمع مع التجديد، والتجديد الذي نأخذه من موضع ثقة من الآخر من دون ان نتعقد، أو نفقد الثقة بأنفسنا.

أنا أتصور، ان العراق الجديد بإذن الله (تبارك وتعالى)، سيكون أنموذجاً للعالم، ولوحة جديدة للتعايش بين أبناء الديانات، وأبناء المذاهب والقوميات.

أتمنى لشبابنا كل الموفقية، وهم يخوضون غمار العلم والمعرفة، ويسهمون في بناء العراق الجديد، من موقع العلم والاختصاص.

السلام عليكم ورحمة الله و بركاته.

كلمة الدكتور إبراهيم الجعفري خلال لقائه أساتذة ومثقفين وفنانين
بتاريخ 2008/2/21

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..
قال الله - تبارك وتعالى - في محكم كتابه العزيز:
((نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى)) [الكهف: 13]
في الدقائق القليلة الماضية شهدنا، وإياكم لوحة فنية من روائع ونفائس ما يختزنه العراق الجديد هو تلك المشاعر الجيّاشة التي تكتسح كل العقبات، وتعبّر عن قلوب صافية المنبع والمنشأ، فتبقى المشاعر جزءاً أساسياً في الشخصية على مستوى الفرد، وجزءاً مهماً وأساسياً على مستوى المجتمع سواء كان في تراثه، أو في حاضره، أو في مستقبله، ويبقى الفنان يأبى إلا أن يملك ناصية التحكم في هذا الجزء المهم في الشخصية والمشاعر؛ لذا استطاعت هذه اللغة تحشيد المعاني، والحديث في هذا المشهد المسرحي الرائع الذي طرّز كامل المشاعر والمحبة، وأعطى، ومنح المتلقي ثقة بأن سالك طريق الحرية والخلاص ينتصر لامحالة.
الحديث في جمع من الشباب والشابات ومجموعة من الأساتذة لاشك أنه يكتسب خصوصية مهمة؛ لأننا أمام من يحملون سر الانعطاف، وسر التحوّل، وحين نتحدث مع الشاب لا نتحدث مع الذي قيّدته أسوار الماضي، وتكلّست في عقله، إنما أمام متلقٍ يغلب عليه الانعتاق من كل القيود والقوالب الموروثة إلا ما ثبتت صحته.
جمهور كجمهرة هذه الباقة من الشباب تحمل في انتمائها تنوعات مختلفة يحتاجها العراق في حاضره ومستقبله؛ لأن الشاب يمثل البداية المشتركة لمسارب الحياة المتنوعة سواء اتجه في المضمار الفني والأدبي والرياضة والعلوم الإنسانية أم مضمار الطب والهندسة وفي كل مجال من المجالات، ونحن نتطلع إلى مثل هذه الثقافة ثقافة أن يضفي الشاب على نفسه وعلى شخصه بُعداً مجتمعياً، ولا تأسره الذات بالعنوان المشخصَن، ولا يفكر إلا لذاته، بل يفكر كيف يبني مجتمعاً، وكيف

يساهم من خلال ما تختزنه شخصيته من طاقات خلاقة، وكيف يساهم في بناء العراق الجديد، ولا يقف جاهلاً أو متجاهلاً إنما يقف موقف الواعي إلى حد الاستيعاب، كما لا يقف متردداً إنما يكون مقداماً إلى حد الشجاعة في إعطاء رأيه بكل قضية من القضايا، ولا يتردد أن يخوض غمار المواجهة في كل ميدان من الميادين.

عندما ننعم بمثل هذه الطاقات في الشباب نكون على مشارف جديدة، خصوصاً أننا في مرحلة صعود حاد نحو المستقبل، وهو (الصعود) الذي يحمل سر الارتقاء، ويجب أن يكون في هذه المرحلة شبابنا وأولادنا وبناتنا؛ ليحدّدوا وجهة الصعود.

فحين يرتقون منابر الجامعة سيوفرون فرصة تمتزج فيها عناصر التجربة والخبرة، فمن يحمل شهادة علمية من الأساتذة عليه أن يمزجها بعناصر الانطلاق والتحوّل؛ لذا ليس غريباً القول: ما من تحوّل اجتماعي إلا وكان الشباب في صدارته، وكل ثورات العالم الغابرة في التاريخ القديم والمتوسط والتاريخ الحديث والمعاصر بقي الشباب دائماً يحملون سر التحولات؛ لأن المواقف عندما تُصنَع تحتاج إلى رؤية الشباب وعقولهم؛ لأن همتهم عالية، وتمتاز بالتضحية.

عوّدنا الشباب في التاريخ أن يقدّموا، ويضحّوا، ويطرّزوا الأرض بأزكى الدماء، ولا أريد أن أستغرق كثيراً في التاريخ؛ لأني أودّ أن أتحدث عن دوركم الحالي والمستقبلي، لكني سأمرّ مروراً سريعاً على التساؤلات التي طُرِحت.

أما عن التيار وفكرته فالقراءة الموضوعية لمسرح التاريخ أثبَتت أن التيارات في التاريخ ظاهرة طفحت على سطح المجتمعات الحية التي امتلكت سر النجاح والقوة في وقتها، وامتلكت سرّ الديمومة في استمراريتها إلى الآن.

إن التيار يحكي لنا قصة الفكرة حين تمتزج بالعاطفة، وقصة التنظير حين يمتزج بالتطبيق، ويحكي لنا قصة الشخصنة التي ترحل، وتحل محلها التعددية والتنوعية والحالة الجماعية المتسعة.

لم يستطع الفلاسفة مهما كانت نظرياتهم أن يتحولوا إلى تيار؛ لأن أفكارهم ونظرياتهم تقتضي أن يتجشّم الناس عناء القراءة والبحث، فيما حركات الإصلاح التي قادها الأنبياء تحوّلت إلى تيارات؛ لأنها استطاعت الدخول في جميع الأشياء حتى البيوت والأسواق، وتداولها الجميع بمختلف مستوياتهم، فخفقت لها القلوب، وقُوبلت بتلقيات بشرية واسعة؛ لأنها مزجت بين الفكر والعاطفة، ونزلت من علياء الفكرة، ودخلت إلى حيّز التنفيذ، وأخذت بُعداً حياتياً.

كل المصلحين تحوّلوا إلى تيارات حتى الأنظمة الاجتماعية العلمانية المتنوعة أخذت منحى تيارات، كان (ديغول) تياراً عندما انتهت الحرب العالمية الثانية 1945، وحوّل الحزب الديغولي إلى تيار ديغولي، واتسع ديغول لكل الفرنسيين، ولم يكن مجرّد فرنسي كما إنه امتد بعمره التياري والإصلاحي إلى الجيل المعاصر، ومات ديغول، لكن لم تمُت الديغولية مثلما مات المهاتما غاندي في الهند، وبقي تيار غاندي إلى الآن.

التيار من حيث الفكرة والقيم يجسّد عمقاً فكرياً وقيمياً لكنه يمزج الفكرة بالعاطفة؛ حتى يستطيع أن يتدفق من منبعه، ويتسرّب؛ ليصل إلى كل الناس وكل الشواطئ

من دون أن يتقوقع في مكان ما، وتكون مسيرة التيار مطلوبة؛ لأنها ترتقي إلى حجم الوطنية في بلد تنشّأ، وترعرع فيه، ولا تبقى حبيسة لطائفة ما، أو شريحة اجتماعية ما، أو توجّه ثقافي محدود، أو قومية ما إنما ترقى إلى مستوى وطني أشمل.
أظن أنكم تلمسون حاجة الناس وتشخيص أبناء شعبنا لوجود حالة جديدة وهي حالة التيار، وهي ليست قراراً، فالتيار ليس قراراً فوقياً - أي ينزل من الأعلى إنما هو استجابة واقعية لإرهاص حادّ اختمر في ضمير الناس، وتمخـّض عن هوية جديدة اسمها (التيار) فيه العربي والكردي والتركماني والآشوري، وفيه السني والشيعي والمرأة والرجل يتفاعلون معاً على المشتركات الوطنية العراقية العامة، وأمامهم أهداف كثيرة، منها: بناء العراق، وتحويل الثروة الكامنة في العراق إلى مشاهد حسية، وخدمات عامة، وطرد حالة الفقر المقيتة، وتحويل المخزون من الثروات إلى غنى حقيقي.
التيار يضع في حسابه أنه تيار بناء يريد أن يحوّل هذه الثروات إلى طاقة لبناء البلد، وأن تختفي ظواهر الفقر؛ لذا يعبّئ التيار كل هذه الطاقات الخيّرة التي تؤمن بالعراق وتجعل الولاء العراقي فوق الولاءات، والانتماء العراقي فوق الانتماءات، ولا يريد أن يسلخ من أحد هويته أبداً، وليس بديلاً عن الموجود لكنه يريد أن يأخذ حجمه كتيار وطني عراقي يرقى إلى مستوى الوطنية العراقية، ويجعل الهم العراقي فوق كل الهموم، والولاء العراقي فوق كل الولاءات، وهنالك تحديات كثيرة يضع التيار أولوياته لمواجهتها، وعلى ضوء ذلك هنالك حالة من التحدي منها الطائفية المقيتة والتيار يميّز بين الانتماء المذهبي بعيداً عن الطائفية، وهو ليس ضد الانتماءات؛ لأنها ظواهر حضارية، إنما المرفوض أن تتحوّل حالة الانتماء إلى حالة متعصبة متشنجة تؤكد على الذات عند الاستغراق؛ ليُبعِد الآخرين إلى حدّ التلاشي، هذا هو المفروض.
رُبَّ سؤال قد يرد إلى الذهن: هل سيكون في التيار أحزاب ليبرالية؟
الجواب، هو: إن التيار ليس جبهة حتى يوجد فيه حزب إسلامي أو علماني أو قومية، التيار هوية جديدة، وليس انشقاقاً عن حزب، ولا واجهة لحزب، إنما هو كيان جديد له فكره، ومنطلقاته، ونظامه الداخلي، ورموزه، ويلتقي مع الآخرين في ساحة مشتركة، ويتعاطى معهم بمساحة مشتركة محددة، لكنه كتشكيل لا ينطلق على أنه جبهة أحزاب أما أن يكون للشخص هوية ليبرالية، أو ديمقراطية، أو علمانية، أو قومية، أو إسلامية مادام يؤمن بأهداف التيار، ويلتزم بها، ويتحلى بمواصفات الوطنية، والكفاءة، والعمل، والاستجابة لما جاء في التيار.

نحن ندرك أن في مجتمعنا كتلاً سكانية، ومجتمعية، وديمغرافية متنوعة؛ ولأجل أن يكون التيار مرآة وطنية نقيّة تعكس في ألوان التيار ألوان المجتمع لابد أن تكون فيه هذه المذاقات كلها، ونتمنى، ونتطلع لأن تنبض في داخل التيار كل عروق المجتمع العراقي في مختلف التنوعات الموجودة.
تيار الإصلاح تيار له نظامه، وآلياته، وبرامجه.. تتحرك فيه المرأة إلى جانب الرجل كنصف فاعل ومؤثر، بل تؤدي دوراً مهماً وأساسياً في التيار، كما يتكفل

التيار برفع كل ما علق في أوساط النساء من مخلفات العادات والتقاليد، وتصحيح مسار الممارسات التي تسببت بقمعها وإقصائها عن ساحة البناء والتغيير والإصلاح..
في العراق، كان للمرأة النصيب نفسه مما تعرّض إليه الرجل، فقد ذاقت مرارة السجن، وتلوّت سياط الجلاد على جسدها، وتلوّن محيّاها بألوان الظلم الكالحة، بل وهُجِّرت، وأعدمت، وها هي اليوم تتصدر، وتتفوق، وتتقدم على أختها في مختلف البلدان حتى في أميركا وبريطانيا..
المرأة اليوم استطاعت أن تخرج، وتكسر هذا القمقم الزجاجي، وتخرج إلى العالم، ولكن لاتزال هنالك بعض الظواهر تنتظر معالجات، ومن جملة ما يتبناه التيار من أهداف هو الإصلاح في المجتمع، وقد حمل تيار اسم (الإصلاح) كفعل وكمبادرة وكردة فعل تأتي على الفاسد من العادات والتقاليد والممارسات ليستبدلها بشيء صالح.
تيار الإصلاح تيار وطني، ويتطلع إلى وطنية عراقية تتسع للكل، ويمد يده إلى أيادي المخلصين من الخلفيات كافة بما فيهم الدعاة، الأرض العراقية لها حدود وحدودها تبدأ من كردستان إلى جنوب العراق، والعراقي أكبر من أرض العراق، فقد هاجر إلى الخارج، وابتعد عن أرض العراق، ولكنه لم ينسلخ عن عراقيته، وما من قائد من قادة العالم إلا ومَرّ بمرحلة الهجرة من بلده..
أين كان (ديغول) قبل أن يأتي إلى فرنسا عندما احتلتها ألمانيا؟ كان في بريطانيا.
أين كان (لينين) في الثورة البلشفية؟ كان في ألمانيا.
أين كان رسول الله (ص) قبل مكة؟ كان في المدينة.
أين كان الإمام الحسين؟ كان في بلد المهجر.
نحن لا نفرّق بين عراقيي الداخل وعراقيي الخارج، لكننا ندرك جيداً أن الموجود في الداخل عانى من قمع النظام، وكبته، وظلمه، لكن لا ينبغي أن تكون هنالك حالة تمايز.. يجب أن تراعى مسألة الأخوّة العراقية.
أجد أن الحالة العراقية تتجسد في التيار، ومتبنياته، ولكل العراقيين مع الأخذ بنظر الاعتبار الكم الهائل الموجود في الداخل؛ لذا يجب أن تتناسب حصتهم مع حجمهم وعطائهم وإمكاناتهم وعذاباتهم وصبرهم بكل تأكيد، أما عن اجتثاث البعث فأنا أتصور أن في الكلمة تعميماً، وفيها ظلم؛ ومن غير الصحيح أن نتهم كل البعثيين بأنهم صداميون ظَلَمَة، إنما يجب أن نجتث الإجرام والإرهاب، وهذا قد يكون لدى البعثي ولدى غيره فهناك صنف من الناس يمارسون عمليات الإرهاب والقمع والقتل وما شاكل ذلك، وهم لا يرتبطون بحزب البعث، فالقاعدة لا علاقة له بالبعث، والذين يبددون الثروة لا يمتون إلى البعثيين بصلة.
لنستبدل عملية الاجتثاث هذه، ونجتث الإجرام والإرهاب والقتل الذي يقع على الأبرياء من العراقيين هذا الذي نحن نتبناه، وهذا ينطبق على أي إنسان مجرم أثبتت الأدلة أنه مجرم..
هناك كم كبير من الناس استبعثوا بالقوة، ويجب أن نفتح معهم صفحة جديدة، وهذا هو معنى المصارحة والمصالحة نبدأ معهم؛ ليساهموا في بناء العراق، ويلقوا منا

الاحترام؛ حتى يشعروا أن انتماءهم إلى البعث كان في ظرف أغلق عليهم الطريق، وأنهم عادوا إلى هذا الشعب.
أما المحاصصة فنحن نعتبرها من أخطاء التجربة فقد كانت على حساب الكفاءة، وحساب الوطنية؛ لذلك البديل المشروع والصحيح للمحاصصة هو المواطنة فقط..

وما يتعلق بالفساد الإداري.. تعلمون جيداً أنه (الفساد الإداري) حالة تمظهر خارجية لفساد في الداخل؛ وحتى نطرد مظاهر هذا المرض المختلفة من فساد إداري وفساد اجتماعي وفساد أخلاقي ومالي لا ينبغي أن نقدّم علاجات عَرَضية إنما علاجات جذرية، ونتبنى ثقافة الوطنية العراقية من إخلاص وإصلاح.
تيار الإصلاح يؤمن، ويتبنى بناء الإنسان، وإلا ستبقى ظواهر الاختراق والارتهان، وستبقى ظواهر الفساد المختلفة.. هكذا عملت شعوب العالم التي استقلت.. يجب أن تنبض الحياة بكل تفاصيلها بعملية الصلاح، ويجب أن نجري عملية الإصلاح كثقافة نخاطب بها الفرد، والأسرة، ونخاطب بها الجامعة، ونستثمر الفن.
يجب أن نوظف كل الطاقات في بناء المجتمع الصالح السليم من كل الأمراض؛ لنرقى ببلدنا إلى مصاف الدول المتقدمة، فنحن نختزن في تراثنا عوامل القوة والنجاح، ونستطيع أن نحقق هذا الشيء بالعزم والإرادة، ولا يكفي أن تكون الفكرة قوية بل لابد أن نـُخرج الفكرة من حيّز الذهن إلى حيّز الممارسة، ولا يكفي أن يكون عندنا تاريخ قوي، بل يجب أن نحوّل قوة تاريخنا إلى قوة حاضرنا؛ حتى نصنع قوة مستقبلنا.
لا نستثني من مسؤولية بناء العراق وإصلاحه أحداً، فكل المحافل يجب أن تتحوّل إلى برلمانات لمناقشة الواقع الحالي، وتقديم المعالجات حتى في السيارات والمقاهي..
بإمكاننا أن نحوّل كل المفردات المتحركة إلى ناظم واحد ينتظم، ويدور حول عملية إصلاح هذا المجتمع.
الآن بدأ حراك الإصلاح، ومثلما قلتُ قبل قليل: إن الإصلاح تيار، وليس عملية قوالب فوقية نـُنزلها على الناس..
نريد ثقافة الحب التي تجمعنا، وإذا اختلفنا فلنختلف بالتي هي أحسن، وبالحجة والدليل:
((قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)) (البقرة/111)
نحن أصحاب الدليل والبرهان، ونتحمل مسؤولية إشاعة مثل هذه الثقافة..
تيار الإصلاح امتداد لتيار الشهيدين الصدرين الأول والثاني إذا أخذنا مفهوم التيار بمعنى الفكر والقيم والمبادئ والتضحية، نعم.. هنالك مشتركات مع الصدرين فهما وضعا لبِنات وأفكار هذا الشيء، لكن إذا أخذناه بالمعنى التنظيمي فهو تيار عام يتسع لكل العراقيين، وأعتقد أنكم تتفقون معي إذا دققتم في تفاصيل نظرية الصدر الثاني (رضوان الله تعالى عليه)، وقد تختلف في بعض التفاصيل عن نظرية الصدر الأول.

تيار الإصلاح منفتح على الحالة الإنسانية العامة، وسيحفل بشخصيات وطنية عامة من خلفيات مختلفة يجمعها فكر إنساني عام يلتقي على الثوابت الوطنية والإنسانية.
أما ما يتعلق بالانتماء فبمستويين مستوى هيكلية التيار ابتداءً باللجان المختصة واللجان الاستشارية التي تمثل الانطلاقة والممثليات والمكاتب فيها عضوية، وستنظم استمارات بمواصفات معينة بما يتعهد به التيار، وما يتعهد به الشخص الذي يروم الانتماء إلى التيار؛ لأجل أن يستوفي المنتمي المواصفات عليه أن يلتزم بسياسة التيار وأهدافه ومشاكل ذلك، أما معنى أن يكون التيار تياراً، فبابه مفتوح للجميع من أقاصي الجنوب إلى أبعد نقطة في الشمال..
(وفي معرض إجابة سيادته عن سؤال طرحه عليه أحد الحاضرين عن قانون الأحوال الشخصية، فقد أجاب):
وأما ما يتعلق بقانون الأحوال الشخصية فهو قضية معقـّدة، وأنا أتابعها منذ أيام عبد الكريم قاسم، ونحن نطرحها على أصحاب الفكر والمنظرين، وفيها تفاصيل كثيرة جداً يمكن الاتفاق عليها، وقد تكون نقطة أو نقطتان محل خلاف قابلة للحل بطريقة لا تتناقض مع الدستور، وأما الدستور فهو بالنسبة لنا ميثاق، ونلتزم به وكل شيء يتعارض مع الدستور نرفضه، وربما يرفض الفيدرالية شخص، ونحن لا نقمعه، ونحترمه على الصراحة، ويجب أن نعرف أن الفيدرالية حقيقة دستورية، ويمكن أن نناقش حتى الدستور، ويجب أن نناقشه؛ لأنه ليس كتاباً مقدساً، والدساتير الموجودة في العالم لا تشبه الدساتير السابقة فدستور فرنسا الجمهورية الخامسة إلى عام 1958 تبدّل خمس مرات، وتبدّل دستور البرازيل ثلاث مرات، وتبدّل دستور أميركا 26 مرة حتى عام 1971.
إذا أردنا التغيير أو التعديل في الدستور فيجب أن يكون ذلك بطريقة دستورية..
يجب أن نحترم شعبنا، ونراعيه، ونتطور معه، ونحاوره، ولا يصح إلا الصحيح، فإلى الأمس القريب كان المواطن الأميركي الأسود يعادل ثلاثة أخماس المواطن الأبيض، وهذه أميركا أكبر دولة في العالم، وكانت المرأة ممنوعة من التصويت حتى عام 1924، والآن جاؤوا؛ ليعلمونا حقوق المرأة والإنسان والمرأة قد سُنـَّت حقوقها عندنا قبل 1400 سنة:
((إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ)) (الفتح/18)
ومسلة حمورابي اللوحة النظرية الرائعة نظـّرت لحقوق المرأة كبادرة طيبة 1792 – 1750 قبل الميلاد أي قرابة 4000 آلاف سنة، وقد نصت على ميزات عديدة على حقوق المرأة، وإذا كان لدينا هكذا تاريخ فنحن عندنا سبق في طريقة التعامل مع المرأة، وعلينا أن لا نختنق من قضايا تفصيلية كقضية الأحوال الشخصية؛ حتى لا تشكل عقبة أمام الأداء.

وقد أجاب سيادته عن سؤال تقدّم به أحد الحاضرين عن الحركات المهدوية التي ظهرت في العراق مؤخراً:

الفراغ الثقافي يتسبب عادةً بتشويه الأفكار المقطوعة الصحة، ولعل أحد الأسباب أن الأفكار الصحيحة لم تـُعطَ الأدلة القوية الوافية لترسّخها، وتحميها من الانحراف في الفهم والممارسة.

العقيدة المهدوية - كما هو معلوم - عقيدة تؤمن بها جميع الديانات مع بعض الاختلافات الجزئية البسيطة، فأصل الفكر المهدوي، والترقـّب، وانتظار المستقبل عملية مُختزَنة في فكر الديانات المختلفة..

أعتقد أن ادّعاءات المهدوية، والاتصال بالإمام المهدي دليل على انخفاض المنسوب الثقافي، وفي الكثير منها تزييف وتحريف للدين الحق والعقيدة الحقة.. وعلى طول التاريخ ظهرت الكثير من هذه الحركات، وحاولت أن تضلـّل الشباب منذ العصر العباسي وحتى زماننا هذا.

يجب أن نثقـّف الناس على حقيقة هذا الفكر، وأن لا تغيب أجهزة التوعية..

الإيمان بالمهدي المنتظر هو ملتقى الفكر السني والفكر الشيعي، فالعقيدة المهدوية وفكرة المنتظر رائد العدل الذي يكافح الظلم والفساد تعطي إشراقة أمل، وثقة بالمستقبل.

الاعتقاد بالإمام المهدي يعني الانضواء تحت لواء من يحمل ناصية العدالة، ويتطلع إلى إشاعته في البشرية.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة الدكتور إبراهيم الجعفري خلال لقائه طلبة الجامعة المستنصرية

بتاريخ 2008/3/8

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله (تعالى):

((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا))

(الأحزاب/21)

يصادف هذا اليوم أكثر من مناسبة، وفي ظل ذكرى وفاة رسول الله (ص) لابد لنا أن نقف وقفة إجلال وإكبار لهذه الشخصية الفذة.

شخصية الرسول الأعظم بكل ما حفلت به من عطاءات تجعلنا أمام مسؤولية، وحين ننفتح على شخصه إنما ننفتح على القيم بعمقها، والفكر بعمقه..

انطلقتُ من الآية القرآنية الكريمة (الأسوة) التي تختلف عن القدوة؛ فالقدوة ربما تقتصر على جيل أو مجال معيّن بينما تكون الأسوة ممتدة إلى كل مجالات الحياة، وتمتد إلى كل مراحل التاريخ؛ ولكي لا يلتبس بين الأسوة في مجالات معيّنة قد تكون سيئة.

أنتم مدعوون لأن تتأسوا برسول الله (ص)؛ لأنه منبع الحسن، وهو الأكمل خلقاً والأعظم شمائل..

قصة القدوة والنموذج في حياة الأمم قصة انقسمت عليها المذاهب الاجتماعية من الناس منهم من فصل بين رجل النظرية ورجل التطبيق؛ فنحت له شخصية، واعتبره رجل النظرية، ولكنه فصّل بأن رجل التطبيق يختلف عن رجل النظرية، كما هي في الماركسية الذين يعتقدون أن كارل ماركس هو رجل النظرية، بينما لينين وستالين هما رجالا التطبيق.

كان يحلو للبعض أن يصوّر رسول الله (ص) بأنه رجل النظرية، ومنهم من يقول: إن الإمام علي (ع) كان رجل التطبيق، وهذا خطأ كبير؛ فنحن من خلال مبادئنا

وقيمنا لا نفصل بين رجل النظرية ورجل التطبيق، وإن كانت بعض المصاديق اختصت بالنظرية، واختصت بالتطبيق على العكس من ذلك فهناك علاقة متبادلة بين التطبيق والتنظير، وهذه الجدلية والعلاقة المتبادلة والمتفاعلة بين النظرية والتطبيق تجعل الإنسان صاحب النظرية القوية قادراً بكفاءة أن يخوض غمار عملية التنفيذ، ومن يخُض غمار عملية التنفيذ يتفتق عقله، وينفتح ذهنه لأن يستلهم النظرية المناسبة إذا احتاج أن ينظّر فخير من ينظر، وحين ينفذ فهو خير من يطبّق.

لا يمكن التفكيك بين النظرية وبين التطبيق، وعلى سُلَّم التأسي يقف أهل البيت (ع) أيضاً، وهكذا كلما مضى الوقت ننفتح بدرجات متفاوتة لأننا نقتدي بالآخرين بحسب قدرتهم على تطبيق المفاهيم والقيم والمبادئ.

لا يكفي أن تكون لنا نظرية في مجال ما إنما نتطلع إلى من يطبّقها، ولعل كل واحد منا عندما يقرأ نظرية ما يتطلع إلى الشخص الذي يطبّقها، وما أكثر النظريات التي سقطت ضحية التطبيق السيء، وأكثر ما أثرت فينا التطبيقات العملية، ولغة الحس، وثقافة المرئي والمشهود؛ المحسوسات أبلغ تأثيراً من ثقافة المُدّعى.

يتحتم على شبابنا، وهم يحملون اليوم مسؤولية كبيرة أن ينفتحوا على شخص رسول الله (ص) باعتباره الأسوة المطلقة في الحسن بكل جوانب حياتهم خصوصاً أنه بدأ مسيرته المباركة منطلقاً من الشباب، وقال:

(صدقني الشباب يوم خالفني الكهول)

رسول الله (ص) يريد من الشاب أن لا يعيش عمره الزمني بقدر ما يعيش عمراً عقلياً، وعمراً عملياً؛ لذلك كان يقول:

(خير شبابكم المتشبه بكهولكم وشر كهولكم المتشبه بشبابكم)

تجد نفسك أمام شاب صغير العمر، ولكنه كبير العقل ينطوي على عقل يتجاوز زمنه زمن عمره المادي، ويفكر بأفق أوسع مما يدور حوله؛ من هنا كان يبعث الشباب ليتداحوا، ويمتدوا، ويغمروا الحياة من حولهم.. يريد منهم أن يكونوا كباراً فيما يفكرون، وكباراً فيما يصنعون، وكباراً في كل شيء، وخلق منهم قادة حملوا

لواء المعرفة والفكر، وذادوا عنه، وبنوا حضارة تحت مرآه ومسمعه الشريفين منذ عصر صدر الإسلام؛ لذا كان يحدد مكونات هذا الشاب عندما يريد منه هذه المهمة يريد منه خلقاً، وحين يقف الشاب المتلقي أمام شخص رسول الله (ص) تتشبع نفسه بقناعة قوية أنه أمام المعطي الأخلاقي المطلق، وقد وصفه الله (تعالى):

((وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)) (القلم/4)

فهم كانوا يتخلقون بأخلاق رسول الله (ص)؛ لأنهم كانوا يشعرون أنهم أمام صورة الكمال الأخلاقي التي تتجسد في شخص رسول الله (ص)؛ لذا وصفه القرآن الكريم بأنه:

((وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)) (القلم/4)

هناك الكثير من صفات رسول الله (ص) فيها العظمة في فكره وسلوكه وفي أدبه وتواضعه وكل شيء لكنه ركز على الجانب الأخلاقي، وهذا هو سر جذب البعيد لك، والشد الأخلاقي يسبق الشد العلمي، والشد النسَبي، والشد المالي:

((فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ))

(آل عمران/159)

حين يكون الإنسان فضّاً ستنفض منه الناس مهما كان علمه ومهما كانت حجته؛ لأن بوابة القلب أغلقت، ولا يمكن فتحها إلا بمفتاح الأخلاق، ثم إن بوابة العقل تفتح بالعلم فما لم نفتح قلوب الناس بالأخلاق لن تنفتح إلينا عقولهم، ولا نستطيع أن نؤثر في المتلقي ما لم يكن المتلقي قد فتح قلبه بأخلاقنا قبل أن يفتح عقله بثقافتنا، ولطالما سقطت الآراء القوية والأفكار القوية ضحية الأخلاق السيئة؛ لذا ركز القرآن الكريم على أخلاق رسول الله (ص) ومن هنا يجد الشاب نفسه أنه ليس أمام نظريات فرويد أو كرندر بأنه يمثل حالة نزوة، وحالة عاطفة، وحالة ضياع إنما يمثل سمواً أخلاقياً يستطيع أن يحلـّق في مجالات الأخلاق بالشكل الذي يخاطب قلوب الناس، وفي الوقت نفسه يخاطب عقول الناس بثروته العلمية والثقافية؛ فنتعلم من رسول الله (ص) الأخلاق الكريمة، ونستمد خلقاً من خلقه، ونستمد علماً من علمه، وقد ركز

رسول الله (ص) على العلم وأنتم الآن تمارسون دوركم كمتلقين في واحات العلم، وفي جامعة المستنصرية بالذات أنكم تتمثلون أهمية العلم وأهمية العالم.

ماذا يعني أن تتعلم هذه الديناميات والحركيات في العلم فالإنسان يبقى كل حياته طالباً لأنه لا حدَّ للعلم، وبما أنه لا حد للعلم إذن لا حد لطلب العلم:

((وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ)) (يوسف/76)

ومهما بلغ الإنسان من العلم مبلغاً يشعر أنه لايزال بحاجة إلى أن يتواصل بطلب العلم، ويُصِر على طلبه، وينتقل من مرحلة إلى أخرى يتعلم، ويأخذ، ويرتقي على سُلَّم العلم درجة بعد أخرى وفي الوقت نفسه لم يجعل الإسلام حداً للعلم بأرض وجغرافية معيّنة، وقد أشار رسول الله (ص) إلى دينامية الامتداد إلى أقصى مكان جغرافي؛ لتقترب من العلم، وقال:

(اطلبوا العلم ولو كان في الصين)

وهي أبعد منطقة، وقد قالها رسول الله (ص) قبل 1400 سنة، إذن ليس هناك شيء ثابت يقتصر على أرض معيّنة إنما تمتد، وتأخذ، وتتطلع إلى حيث ينتشر العلم، وتمتد، وتأخذ من العلم، وقد ذكرت هذا الحديث في الصين أمام بعض المسؤولين الصينيين، عندما قلت لهم ما قاله رسول الله (ص).

كتب فرانسس في عام 1625 كتاباً، أسماه: (ثلاثة مخترعات غيّرت وجه العالم) هذه المخترعات الثلاثة كانت (المغناطيس، والبارود، والورق) فالمغناطيس هو سر التجارة البحرية، وتحديد اتجاهات السفن، وقد دفع العالم أشواطاً بعيدة لتطوير التجارة البحرية، والورق هو سر العلم والثقافة والمعلومات، وما نشأ من الورق كلبنة أولى في صرح الإعلام، وما تفرّع إلى الفضائيات، وما شاكل ذلك، ويعتقد فرانسس أن (البارود) الذي هو سر تطور السلاح والهيمنة العسكرية الآن في العالم، وربما لم يكن يعلم أن هذه المخترعات الثلاثة كلها قد اكتشفت في الصين، والصين هي التي صنعت الورق، ثم انتشر عن طريق الطباعة بعد أن أخذوها من الصينيين، ونشروها في العالم الأوروبي انطلاقاً من إيطاليا إلى بقية مناطقهم.. هكذا

كان رسول الله (ص) ينظر إلى البعد الجغرافي، وينظر إليه على أساس القرب العلمي:

(اطلبوا العلم ولو كان في الصين)

لا يهمك كم هي المسافة انظر مدى الالتصاق بالحقائق العلمية، كما إنه كان يتطلع أيضاً إلى العالم الخارجي والفضاء الخارجي منذ ذلك الحين قبل 1400سنة، يقول:

(لو تعلقت همة أحدكم في الثريا لنالها)

إنه (ص) يريد أن يعطي الثقة للمتلقي بأن لا يفكر في المسافة مادامت همته عالية، وليفتح على إنسان الأرض آفاق السماء، والتفكير بهذه النجوم والكواكب؛ حتى يسابق الزمن، ويحط رحاله على الفضاء.. منذ ذلك الوقت كان يفكر، ويدفع بالإنسان بهذا الاتجاه.

لا يقف الإنسان عند حد من الحدود، ولا تقاعد في العلم أبداً، وجاءت الدينامية الأخرى:

(اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد)

وهذا يجعل الإنسان يشعر دائماً، وعلامات النضج أن يشعر أنه طالب علم مهما كان عمره، ومهما كان اختصاصه.. العلم شرف، ويجب أن يقترن بشرف العمل، لا قيمة للعلم إن لم يكن من أجل العمل؛ لأن الله - تبارك وتعالى - أراد، وكلف الإنسان به:

((وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)) (التوبة/105)

العامل بعلم غير العامل بجهل، من هنا استمد العلم شرفه من شرف العمل لأن المطلوب أن يعمل الإنسان وفق رؤية معرفية صحيحة، وبنظرية صحيحة، ومنهج صحيح، وفيه قال الله - تعالى -:

((أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)) (الملك/22)

يجب أن يكون له طريق واضح:

((لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)) (المائدة/48)

يمشي على ضوء هذا المنهج، ويعرف كيف يُحدث فرقاً تراتبياً، وكلما مر الزمن زادت معلوماته سواء كان في المجال الخاص أم المجال العام في الحقول المعرفية المختلفة.

لأني أجلس مع أبنائي وبناتي في جامعة المستنصرية الصرح الشامخ الذي له عمق تاريخي ربما تجاوز الـ 12 قرناً منذ عام 1250 في اللبنات الأولى لصرح جامعة المستنصرية - الجامعة القديمة - وبذلك يكون تاريخها أسبق من تاريخ هارفرد والسوربون، وأقدم من كل الجامعات التي يتراوح أعمارها بين 800 إلى 850 سنة.

جامعة المستنصرية سبقت هؤلاء، وهو يشير إلى الحالة المعرفية هذا إذا جنحنا إلى الجانب الأكاديمي لصرح الجامعة، أما إذا أخذنا الحقائق العلمية بعيداً عن المنهج الأكاديمي فالعراق كان سبّاقاً في العلم، كما كان سبّاقاً في مجالات أخرى، فالحرف بدأ في العراق ومسلة حمورابي قرابة 4000 سنة قبل الميلاد.

مسلة حمورابي تتحدث بثقافات متنوعة، وفيها خزين رائع في القانون الجزائي والري وحقوق المرأة ورعاية الزراعة، تاريخ العالم مدين للتاريخ العراقي، وجامعة المستنصرية لم تكن تملك تاريخاً عريقاً فحسب إنما كانت تملك أداءً نمطياً ممتازاً لجهة أنها أخذت بُعداً معنوياً تضحوياً، حين تعرضت لاستهداف الإرهاب الجاهل، وهذا يشير بإشارة رائعة إلى أن جامعة المستنصرية استطاعت من خلال ما زخرت به من علوم، وما خرجت به من طلاب وخريجين أضافت ثروة معرفية، وكشفت النقاب عن أن الهوية الضد التي تستهدف المستنصرية هي التي تقتل الشباب وهم في ريعان العمر.

مأساة المستنصرية تكشف أن العدو لم يكن يأتي إلى هذا الصرح العلمي والمعرفي؛ لأنه ثكنة عسكرية إنما جاء لها وهم شباب يدرسون وبنات وأولاد من قوميات

متعددة ومذاهب متعددة وطبقات اجتماعية متعددة؛ إذن عدو المستنصرية هو عدو إنساني.. المستنصرية ليست خندقاً، ولا غرفة مخابرات، ولا مجموعة من الإرهابيين، وليس فيها جيش أجنبي إنما هم مجموعة من الشباب والشابات، والذي يستهدف منظومة علمية معرفية إنسانية كالمستنصرية وضع نفسه في مفهوم المقابلة في عداد الوحوش، وربما تكون كلمة (الوحشية) قليلة بحقهم؛ لأن وحوش الغاب أيضاً عندما تفترس الأقل منها تفترس بقدر أن تشبع، بينما عندما تشبع تكف عن بقية الحيوانات أما العدو الإرهابي فقد وصل تعطشه للدم حداً لا يتصوره العقل.

يجب أن تستلهموا من المستنصرية كجامعة العلم والمعرفة والمناهج الحياتية المختلفة، ونحن بانتماءاتنا المختلفة إلى الأكاديميات لا نريد أن نزيّن جدران بيوتنا بشهادة أكاديمية، وإن كان هذا شيئاً نعتز به، كما لا نريد أن نحصل عن طريق الشهادة العلمية عن راتب معاشي ما، وإن كان هذا طلباً مشروعاً، كما أننا لا نريد أن نستخدم الشهادة العلمية كعامل من عوامل تسهيل مشروع زواج وإن كان هذا طلباً مشروعاً إنما نريد قبل هذا وذاك أن نبني عراقاً يقوم على أسس علمية.

الواحد واحد من حيث القيمة الرياضية لكن الواحد من الناحية القيمية والعلمية يختلف، فالإنسان

المتعلم يختلف عن الإنسان غير المتعلم، بل الجماعة غير المتعلمة تختلف عن الواحد المتعلم؛ لذلك تسمى الجماعة مهما اختلف عدد أفرادها، ولا تسمى أمة لأنها لا تتماسك على فكرة، وليس لها قيمة معنوية، وقد يتحول الواحد إلى أمة؛ لأنه وإن كان فرداً من ناحية المقاسات البشرية الاعتيادية لكنه يحمل فكراً معمّقاً وقيماً معمّقة، ويتحرك كأنه أمة متماسكة، يقول الله تعالى:

((إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)) (النحل/120)

الأسرة يُراد لها أن تقوم على أساس علمي، والمجتمع يجب أن يقوم على أساس علمي، ومستقبل الأجيال القادمة يجب أن يقوم على أساس علمي.

من سمات المجتمع المتحضر والإنسان المتحضر أن تجد الكتاب صديقاً له أينما حل، ولا نستطيع أن نتصور شخصاً يخاصم الكتاب، فالغريب بالمخاصمة هو من يعادي الكتاب والعلم.

لا تقفوا عند اختصاصاتكم، وانفتحوا على آفاق العلم والمعرفة، اقرأوا التاريخ، وافهموه فهماً حياتياً؛ حتى يكون جزءاً من واقعنا، ونتحول به إلى المستقبل.

ليكن التاريخ نافذة للمستقبل، نقرأه، ونستشرف آفاق المستقبل.

ما الذي يحصل عليه الإنسان حين يقرأ التاريخ؟

يجيب عن ذلك الإمام علي (ع)، وهو يتحدث إلى الإمام الحسن؛ ليطرح لنا مفهوماً جديداً للعمر وللحياة:

(أي بني إني وإن لم أكن عمّرت عمر من كان قبلي، ولكني نظرت في أعمالهم، وفكرت في أخبارهم، وسرت في آثارهم حتى عُدت كأحدهم، بل إني بما انتهى إليّ من أخبارهم عمّرت من أولهم إلى آخرهم)

يعني أنك حين تقرأ تجربة الآخر تضيف إلى عمرك عمراً آخر، فاقرأوا التاريخ؛ حتى تطلعوا على عصارة تجارب الأمم.

الإمام علي (ع) يعطي للعمر مفهوماً جديداً كأنه أخذ أعمارهم، وأضافها إلى عمره.

من أخلاق المتعلم أن لا يتمايز على الآخرين؛ فيسقط في وهدة التكبر والغرور، بل عليه أن يكون متواضعاً، ومتخلقاً بأخلاق عالية، وكلما زاد علمه زاد تواضعه.

العراق يتطلع الآن إلى تخرّج جيل ممن يتزودون بسلاح العلم في عصر اختزلت فيه القارات في قارة واحدة هي (القارة الثقافية)، فيستطيع الإنسان أن يلجها بكل سهولة عبر الإنترنت مهما كان البعد الجغرافي.

تنتظركم مهمات كبيرة جداً، وهذا الجيل بالذات حباه الله - تعالى - بمجموعة أشياء أركز على خصوصية مهمة جداً استحضروها دائماً: **(أنكم وعلى الرغم من صغر سنكم إلا أنكم مخضرمون عشتم القبلية (قبل سقوط الدكتاتور)، وعشتم البعدية (بعد سقوط الدكتاتور)، فعندما تستحضرون صور ومأساة الديكتاتورية لا**

تحتاجون أن ترجعوا إلى الكتب؛ لأن الصورة ماتزال طرية في أذهانكم بكل مآسيها، وعشتم سقوط الدكتاتورية والآن تعيشون البعدية الديكتاتورية).

ماذا بعد ذلك؟

المسؤولية.. من كانوا بأعماركم في الستينيات والسبعينيات اكتووا بنار الديكتاتورية، وناضلوا ضد الدكتاتورية، وحُصِدت رؤوس عشرات الآلاف منهم، وكانوا يرفضون الدكتاتورية، أما أنتم فتملكون الحرية، ولا يستطيع أحد أن ينكر أن في العراق حرية يستطيع الإنسان أن يتحدث بما يعتقد، فظواهر الفساد التي امتدت، وتدوّرت خلال الأجيال السابقة إلى جيلنا الحاضر تنتظر من يهزم الفساد بالصلاح، ويزيلها بإصلاحها.

مدوا أيديكم للإصلاح، وعالجوا مشاكل الفقر، وحوّلوا العراق من شعب فقير ينتمي إلى بلد غني إلى بلد غني وشعب غني.

عملية الإصلاح تنتظر إرادة شابة متطلعة مؤمنة، لا تكون جزءاً من الفساد، وتكون مشروعاً يتحرك، ويهزم.

أروع ما في الشاب أنه ليس متكلساً بالعُقد الماضوية، وعقله مرن، والتغيير في الشباب أسهل منه إذا بلغ الخمسين أو الستين لاختلاف الإرادة..

التغيير لا يقف، لا أحد يستسلم، يقول الإمام علي (ع):

(من تساوى يوماه فهو مغبون)

يجب أن يكون اليوم أحسن من أمس، وغداً أحسن من اليوم.

المسؤولية مُلقاة على الشاب، وعليه أن لا ينظر إلى تسلسله العائلي إنما ينظر إلى ثروته الثقافية، ووعيه، فرُبَّ صغير في العائلة هو أكبر من فيها بالرشد والنضج والتواضع والأخلاق والأدب.. كيف نهزم هذه الأمراض التي طفحت على السطح من ثقافة طائفية، وإرهاب، وقتل، ونفاق؟

نهزمها بثقافة عدم التدخل في الشؤون الشخصية للناس، واحترام تعددهم المذهبي والديني والسياسي والقومي..

يجب أن نشيع ثقافة المشترك الإنساني، ونضفي الطابع الإنساني على جوانب حياتنا المختلفة، وهذا تلتقي عليه كل الديانات والمذاهب الاجتماعية التي تنطلق من مفهوم العدالة الاجتماعية؛ لذا أنتم معنيون أكثر من غيركم بالتشبّع بهكذا ثقافة، وجعلها حالة ممارسة عملية.

أتمنى لكم التوفيق في سد حاجة العراق من مختلف اختصاصاتكم كطلاب ومثقفين؛ لتبنوا العراق؛ لأنه لا يمكن أن يُبنى إلا من خلال أصحاب الاختصاص.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الشباب مسؤولية العراق وقيادة الحركة
كلمة الدكتور إبراهيم الجعفري في ملتقى الشباب الثاني الذي أقامته مؤسسة الشباب العراقي بتاريخ 2008/11/15

بسم الله الرحمن الرحيم
((نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى)) (الكهف/13)

الشباب شريحة مجتمعية مترابطة مع أخواتها الشرائح الأخرى في المجتمع، والشبابية مرحلة من العمر لا تنفصل عن سابقتها من مراحل الطفولة والصبا، ولا تقف إلا أن تمتد إلى مراحل العمر المقبلة من الكهولة والشيخوخة والهرم؛ فالحديث مع الشباب حديث مع القطاع الاجتماعي الأوسع امتداداً، والأكثر عمقاً، والأصلب إرادة في كل مجتمع، من هنا حظي الشباب بمكانة متميزة في مجالات الفكر والممارسة والتنظير، وأخذوا حصة وافرة من الاهتمام في كتاب الله العزيز، حيث بدا الشاب والشابة يتحركان على مسرح القرآن في أكثر من قصة، وفي أكثر من آية، كما في الآية القرآنية الكريمة:
((إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى)) (الكهف/13).

هؤلاء الفتية عقدوا العزم على أن يدخلوا مجالات الحياة من موقع الفكر والعقيدة، وتسنموا موقعاً في التاريخ تدوّر من خلال كتب الله (تبارك وتعالى)، وهذه المجموعة التي قرنت نفسها بموقف رائع مقابل ملك زمانها انكفأت، وآثرت أن تعيش في الكهف على أن تتلوث بتلك الأفكار والمعتقدات الخاطئة.. هذه المجموعة التي قرنت نفسها بثقافة أصحاب الكهف والرقيم لأن الرقم والحرف وحدة بناء الثقافة؛ فكانت مجموعة متميزة بفكرها وبمواقفها وبثقافتها.. ليست المسألة في عمر الشاب بقدر ما يختزن الشاب في عقله من أفكار ومفاهيم، وما يحمل في قلبه من إرادة صلبة تتجسد دائماً عبر التاريخ، بأن الشباب يأبى إلا أن يكون وقود حركة، ويكون لهيب الثورات المُشِع الذي يحرق أعداءهم على طول التأريخ كانت المجموعة التي التفت حول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، جلها كانت من الشباب، وهكذا اقترنت الثورات بأسماء الشباب، وبدا الشباب دائماً أسماؤهم وأفعالهم وحركاتهم مقرونة بالتحولات فما من ثورة من الثورات، وما من انعطافة من الانعطافات إلا والشباب يتصدرون المسيرة.

لا تنظر إلى عمر الشاب بقدر ما تنظر إلى خزينه الثقافي وفعله، في الأمس القريب باقة من الشباب واستمراراً لأولئك الفتية تقدموا على مذبح الحرية وهم (قبضة الهدى)، في منتصف السبعينيات وتحديداً عام 1974، لقد كانوا كلهم من الشباب: (الشيخ البصري، والسيد حسين جلوخان، والسيد نوري طعمة، والسيد عماد التبريزي، والسيد عز الدين القبنجي) كلهم من الشباب.

هؤلاء عانقوا أعواد المشانق بإرادة حقيقية؛ ليسطروا ملحمة جديدة، ويكتبوا تاريخاً جديداً، ويتحولوا إلى زلزال، هذا الزلزال يأخذ على عاتقه أن يهز الأرض من تحت أقدام الطواغيت؛ لتتهاوى هذه الإرادة الزائفة أمام الإرادة الوطنية العراقية.

حين نتحدث عن الشباب فإننا نضع أيدينا على الينبوع الذي سرعان ما يتدفق مستقبلاً ليغمر كل مجالات حياتنا، فما من مختص من المختصين في كل مجال من المجالات، وما من مناضل من المناضلين، وما من عالم من العلماء، وما من أب، وما من أم إلا وكان شاباً.. الشباب في مرحلة عمرهم يمثلون مرحلة العطاء، ويمثلون مرحلة الانعطافة؛ لذلك عندما نهتم بالشباب نهتم بحاضر بلدنا، ونكتب مستقبل شعبنا، وهم معقد آمالنا، وهم ثروتنا الحقيقية، وهم سر الانتصار.

حين نخاطب شباب العراق ندرك جيداً أننا نخاطب الجيل المخضرم الذي عاش مرحلتين، مرحلة الدكتاتورية ومرحلة اندحار الدكتاتورية، ومرحلة بداية الديمقراطية، وهم على الرغم من صغر سنهم إلا أنهم أخذوا ثقافة معايشة الواقع والتحولات التي حصلت؛ لذا تجدهم أقوياء ينفذون ببصيرتهم إلى ما حصل؟.

أمام الشباب العراقي طموحات كبيرة وآمال ضخمة فلا نريد منهم أن يمضوا وقتهم في سفاسف الأمور، إنما نريد لهم أن يملأوا الحياة نوراً في دياجير الظلمات.. نريد لهم أن يتحركوا، ويحركوا كل شيء من حولهم في وقت يحاول الجمود أن يطبق على أكثر من مجال من مجالات المجتمع.

نريد من الشباب أن يتبنوا عملية إدارة البلد والنهوض بالعراق الجديد ليرتقي إلى مصاف الدول المتقدمة من خلال عزيمتهم، وقد قدم لنا القرآن الكريم نماذج مختلفة، ابناً هنا يحمل فكراً وهو النبي يوسف (عليه السلام) الذي قضى رحلة طويلة من العمر منذ بداية شبابه بالسجن، وفي القصر، وقبل القصر في البئر، حتى وصل في نهاية الطريق وانتصر، وكان شاباً متميزاً بحسن الخلق:
((**إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**)) (يوسف/78).

وكذا شرف التضحية إسماعيل (عليه السلام):

((قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ)) (الصافات/102).

وتجد بنتاً تمارس نصيحة من موقع الثقة بالنفس، وتعطي رأيها لأبيها وهو نبي، تقول له:
((قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ)) (القصص/26).
وشابة أخرى وهي (آسية بنت مزاحم) تعكف، وتستبدل قصر فرعون بكل زخارفه وترفه، وتؤثر الجهاد؛ حتى تكون نموذجاً رائعاً ومثلاً للرجال والنساء:
((وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)) (التحريم/11).

مثلما خط شبابنا اليوم حاضر العراق عليهم أن يواصلوا مسيرتهم لمستقبل العراق، فمستقبل العراق أمانة في أعناقهم يملأ وجدانهم وعي البلد، وعي الوطن، وعي الخيرات العراقية، بلد يزخر بمختلف أنواع النعم، من النفط والثروة المائية والزراعة والتجارة والسياحة والعتبات المقدسة، من الشعر والفن والأدب، من الانحدار التأريخي، من القمة حيث تخوم الحضارة يتسنم العراق موقعه هناك، لكن شعبه شعب فقير.

شبابنا تأبى عليهم شهامتهم ومروءتهم إلا أن يأخذوا نصيبهم في الصدارة، ويرتقوا بشعبنا العراقي من حيث هو إلى ما ينبغي أن يكون عليه، وقد حباه الله بمختلف أنواع النعم.. شبابنا يفكرون جيداً أنهم يريدون أن يساهموا من مختلف اختصاصاتهم في بناء العراق الجديد.. نحن اليوم مقبلون على مواسم متعددة، ولا يستثني الشاب شيئاً في مجتمعه من مسؤوليته، ومن علامات الصحة في شاباتنا وشبابنا أنهم يقتحموا كل الميادين؛ ليأخذوا دورهم في بناء العراق الجديد، تنظيراً على مستوى الدستور والبرلمان ومجالس المحافظات وتنفيذاً على مستوى الأجهزة الإدارية المختلفة.

نحن الآن على أبواب مرحلة انتخابية جديدة، والمجتمعات المتطورة والدول المتقدمة كلما زادت مواسم الانتخابات تقلصت ظواهر الفساد المختلفة؛ لأن ممارسة العمل الانتخابي تعني استبدال الخطأ بالصواب، واستبدال الضعيف بالقوي؛ لذا يتملكني الاستغراب إلى حد الشناعة أن أجد من يقاطع الانتخابات.. مقاطعة الانتخابات تعني أن نترك للفاسد فساده، ونترك للضعيف ضعفه، كل دول العالم عندما بدأت رحلة الانتخابات كانت في أول طريقها، وفي المحطة الأولى ولم تكتشف أبناءها وبناتها فإنها قد تتعرض إلى اشتباه، وهذا أمر طبيعي.

يجب أن نعبئ كل الشارع من أجل أن يخوض غمار الانتخابات، ويدخل إليها بقوة ووعي، ولا نكتفي بالتصويت الكمّي إنما نريد تصويتاً نوعياً يودع فيه ضميره ووجدانه، ليختار الأقرب إلى الوطنية.. نريد أن تنتصر الإرادة الوطنية في موسم الانتخابات، فلا يقصّر العراقيون في التوجه إلى صناديق الاقتراع، ويسجلوا فارقاً في محطة الانتخابات.. فارق الوعي في المرشح والبرنامج والتجربة، وما أفرزت من خلال السنوات الخمس المنصرمة، ولا يستحضر الولاء العاطفي بدلاً عن الولاء الوطني، ولا يبيع نفسه بحفنة مال، أو متأثراً بدعاية فارغة من دون أن ينفذ ببصيرته إلى ما يهم العراق، إلى من يتولى بناء العراق، إلى من يتفانى من أجل العراق.

علينا أن نميّز بين من يخدم العراق، وبين من يستخدم العراق، ومن يميّز بين الذين يقصرون أبصارهم على تحقيق أهداف آنية وبين الذين يمدّون ببصرهم إلى عمق شعبنا كبنية تحتية وإلى آفاق المستقبل لبناء دولة عراقية تتدوّر عبر الأجيال القادمة، ويمدّ ببصره إلى آفاق المجتمع المختلفة؛ وبذلك يحاول من خلال صوته أن يعطي شهادته، ويساهم في بناء العراق الجديد.

نأمل من أبناء شعبنا أن لا يكتفوا بممارسة التصويت، إنما يتولّون على عاتقهم عملية التعبئة والتحشيد لكل جماهيرنا؛ حتى نقطع الطريق على المفسدين، ففوزنا بفوز الأقوياء، وفوزنا الحقيقي أن يفوز الوطنيون النزيهون الذين يحسّون بآلام الفقراء، ويستحضرون تلك الشرائح العريضة الممتدة؛ ليؤدّوا إليهم حقوقهم.

التصويت مسؤولية، وليس منحة، ولا صفقة تباع لهذا ولذاك.. لا يمكن أن نغيّب عن بالنا دماء الشهداء، ونداءات الأشراف من الوطنيين، وتستحضرنا صفقة تجارية عاطفية نفعية فنبيع الأصوات لهذه الجهة أو تلك.

شبابنا وشاباتنا أمام مسؤولية جديدة لرسم معالم العراق الجديد، وعندما يلتفت اليوم إلى وجود قوات أجنبية لم يكن الوطنيون العراقيون مسؤولين عن وجودها من تركات الماضي ومن خطايا النظام المقبور الذي جرّ العراق إلى حرب، وتبع الحرب احتلال، وبعد الاحتلال بدأ الوطنيون العراقيون محاولة التفاعل مع قرارات مجلس الأمن حتى يقلصوا من دائرة التدخل والمس بسيادة البلد؛ لذا نحن نرتقب خروج القوات متعددة الجنسيات، فوجود قوات أجنبية في كل بلد لا يشكل علامة صحة، والوقت المطلوب لوجود القوات منذ أن دخلت إلى اليوم هو الوقت نفسه لبناء قواتنا المسلحة، وليس هبة حتى يساوم علينا هذا السياسي أو ذاك، إنما هو تعبير عن قراءة ميدانية موضوعية تتحرى الدقة من خلال اختصاصيين في العلوم العسكرية؛ لنرى كم من الوقت نحتاج لبناء قواتنا المسلحة كمّاً ونوعاً وأداءً وكيفاً وتجهيزاً، بعد ذلك نكون قد حققنا استقلالاً أمنياً.

لا يمكن أن نحقق استقلالاً سياسياً من دون استقلال أمني، كما لا يمكن تحقيق ديمقراطية سياسية من دون ديمقراطية أمنية واقتصادية، فالاستقلال هو الاستقلال، ولا يمكن أن يجزّأ، إما أن ترحل من خلال الأمم المتحدة والمظلة الدولية وإلا فالاتفاقية الأمنية بين طرفين نكوص وتراجع، مهما كانت بنودها ومبرراتها.. لسنا بحاجة لأن نربط العراق باتفاقية أمنية مع هذه الدولة وتلك، وهذا ليس موقفاً عدوانياً من أحد فشعبنا شعب لا يعادي شعوب العالم، وحسناً صوّر الكاتب الأميركي - مايكل شويير - في كتابه (الصلف الإمبريالي): (المسلمون لا يكرهون حريتنا نحن - الأميركيين - إنما يكرهون سياساتنا)، وهذا صحيح.

نحن لا نحقد على أحد.. نحن نعتبر الذي حصل في أميركا بغض النظر عن الأسماء كان انتصاراً إنسانياً بأن يتقدم الأسود أياً كان بغض النظر عن موقفه وعن حزبه وعن أفكاره وما سيكشف عنه المستقبل، ولكن بعد رحلة طويلة شقتها الأمة الأميركية منذ انطلقت في عام 1783 عيد الاستقلال عبر أربعة وأربعين رئيساً، وخمس وأربعين رئاسة لم يكن هناك ملوّن في تاريخ أميركا، هذه رحلة طويلة كان الأسود فيها مواطناً ثانياً، وكان إلى الأمس القريب عام 1968 لا يستطيع الأسود أن يجلس في مقعد الأبيض في سيارة الباص، من الجيد أنه ارتقى إلى مستوى رئاسة الجمهورية.

نصيحتي له (الرئيس الأميركي أوباما): أن يدرك أنه أمام اختبار، وليبرهن أنه لم يكن انتصاراً للديمقراطيين في الحزب إنما هو انتصار للديمقراطية في كل العالم لئلا يقع بما وقع سلفه من أخطاء حين جزّأ الديمقراطية، واعتبر الديمقراطية قدراً أميركياً.. بينما نحن نفهم أن الديمقراطية بعمقها الإنساني قدر إنساني، وليست قدراً مناطقياً، وعليه أن يستفيد من أخطاء من سبقوه، ممن غيّروا الشعارات تحت يافطة (الشرق الأوسط الجديد)، للتدخل بنتائج الديمقراطية.

نتمنى لكل شعوب العالم أن تحقق، وتنعم بالديمقراطية في كل مجالاتها، واحترام حرية الرأي والسماح للمرأة بأن ترتقي إلى مستوى متقدم، وبما أننا جزء من الحالة البشرية لابد أن نثبت أننا على أتمّ الاستعداد للتعامل مع كل دول العالم، وكل شعوب العالم بشرط أن لا يتدخلوا في سيادتنا، ولا يصادروا ثرواتنا، ولا يمسّوا كرامتنا.. نحن نبادل شعوب العالم ذات الأحاسيس والمشاعر، ونكن لهم التقدير، لكن شعبنا الشجاع الذي دحر الدكتاتورية، وصنع الديمقراطية لهو أشجع أن يحفظ الديمقراطية، ويصون نتائجها.

إخواني الأعزاء.. أخواتي، وأولادي، وبناتي..
الآمال معقودة عليكم، وأنا على يقين أنه إذا كان الآخرون يقرأون عن نجاحات شبابهم في التأريخ، ويقرأون عن المآسي التي حلت بهم في التاريخ فإنكم تعرفون كيف تتزوّدون من وقود المحنة؛ لتنطلقوا نحو المستقبل.. الفرق بين الشاب الشجاع

والشابة الشجاعة أنه يحوّل كل محنة في طريقه إلى حافز حركة، ويحوّل كل شيء حُرِم منه شعبه إلى هدف يسعى ليل نهار لتحقيقه، ويحوّل كل تحدٍ إلى مجال للمنازلة من أجل أن ينتصر، وتنتصر بانتصاره إرادة شعبنا؛ لذا أفهم أن الشباب إقدام، وهو سر القوة والانتصار، ولا يعرف الالتفات إلى الخلف، ولم يكن متحجراً بعقله عندما يفكر، ولم يكن مشلولاً بإرادته عندما يتحرك، ولم يكن معقداً ومنكفئاً بقلبه عندما يحمل بأسمى وأروع المشاعر الإنسانية.

الشباب طاقة متحركة نحو المستقبل توقد ولن ينطفئ، وأمل لا يخبو، وحين يستحضر المآسي لا يقف ويبكي على الأطلال إنما يفكر كيف يمنع تدوير هذه المآسي إلى المستقبل.
العراق ينتظركم؛ حتى تأخذوا زمام المبادرة، ونحن مع الوطنيين من كل أبناء شعبنا بغض النظر عن انتماءاتهم المذهبية والقومية والسياسية.. انتصارنا بانتصار الوطنية العراقية؛ حتى نضع حداً لهذه المآسي التي انتشرت في مجالات شعبنا المختلفة..
رعاكم الله، ووفقكم، ووفق ملتقاكم هذا، وأتمنى لكم كل الخير.
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة الدكتور إبراهيم الجعفري خلال حضوره مؤتمر الطلاب السنوي الأول في الجامعة المستنصرية بتاريخ 2009/11/16

قال الله (تبارك وتعالى)، في محكم كتابه العزيز:
((وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا)).

ما أجمل أن نستمع إلى ما استمعت إليه، وما أروع أن تتجسد الجامعة كمعطٍ ، وما أجمل أن يتحول الإنسان إلى متلقٍ لفكر هادف وسياسة شجاعة وأدب يداعب المشاعر، ويدخل بلا تكلف إلى الأعماق في القلب، هكذا عرفت الجامعة بداية لا نهاية لها؛ وبذلك أستطيع أن أؤرخ لبدايتي كطالب للعلم في جامعة الموصل عام 1966، ولكني لا أستطيع أن أؤرخ نهاية لهذه الرحلة، هكذا يكون الثالوث الجامعي: المعطي، والهيئة التدريسية ومن يقومون بتحديد المنهج، والمتلقي.. الطالب الذي يتشرف أن يبقى طالباً، كلنا طلاب وغيرنا المعلمون، والمنهج الوسيط هو الذي يتبلور، ويتطور بمرور الزمن؛ حتى يوصل بين المعطي الجامعي والمتلقي الجامعي..

ما أروع أن أقضي معكم هذا الوقت الجميل الرائع، وأنا أجد في حاضركم مستقبلاً واعداً..
إذا كانت جامعات العالم تفتخر أنها خرّجت بعض العلماء والمفكرين والقادة السياسيين كجامعة هارفرد في أميركا، عندما خرّجت ستة من رؤساء الجمهورية بدءاً بـ (جون آدمز)، و(كوينسي ادمز)، و(تيودور روزفلت)، و(فرانكلين روزفلت)، و(جون كندي)، كما خرّجت (أوباما).. يؤسفني أن تخترق جامعاتنا أيادي الإرهاب المقيت،

والحقد الدفين لتغتال فلذات أكبادنا من الطالبات والطلاب، لكني يجب أن أسجل أن كل بطل من أبطالنا قبل أن يهوي إلى الأرض، ويسقط فإنه يُنبت أبطالاً؛ لذا أشعر أن الجامعة المستنصرية التي شهدت فضاءاتها تطاير أشلاء أبنائنا وبناتنا ها هي قد ولّدت ابطالا جدد.

ماذا تعني الجامعة بالنسبة لنا ونحن نعيش وإياكم في رواق الجامعة.. هذا الحرم الذي كوّن نساء المستقبل ورجاله.. عندما أنظر إليكم أقدّر جيداً أني أتحدث، وأستشرف المستقبل من خلالكم، وأنكم سترسمون معالم الدولة الجديدة.. كل الذين تربّعوا على عرش الاختصاص في الأمس القريب كانوا طلاباً وكنّ طالبات؛ فعلى طلابنا وطالباتنا أن ينفتحوا على الجامعة، ويجب أن يتزودوا من العلم، ويجب أن يصمّموا على أن الجامعة مولد علمي، وهذا المولد العلمي هو الذي سيبني العراق الجديد.. عراق الحضارات؛ حتى يتواصل حاضره بتاريخه، ومن خلال حاضره يتواصل إلى مستقبله.. لابد أن نغتنم كل الفرص من أجل أن نتزود بالعلم، ونتأسى برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، والذي صدح بصوته:
(طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة).
كما إننا يجب أن لا نقف عند حد من الحدود، والقرآن الكريم، يقول:
((وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ)) (يوسف/76)

كما إننا لا ينبغي أن نعيش الأسر الجغرافي ونحن نطلب العلم، بل لابد أن نتوجه ببصرنا إلى كل أطراف العالم، مادام هناك معطى علمي في أي منطقة من مناطق العالم، وقد فتح قلوبنا وأبصارنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يقول:
(اطلب العلم ولو في الصين).

العلم والمعرفة هي أساس الدولة الجديدة، ولابد أن نتحول من رجال ونساء معارضة إلى رجال ونساء حكم، يوم أقدم أبناؤنا وبناتنا على مواجهة الدكتاتورية والاحتلال والظلم، وواجهوها بوعي وهم الآن على أتمّ الاستعداد على أن يعيدوا المواجهة إذا اقتضت الضرورة، ولذلك فليسمع الظالمون والمخططون في الزوايا وخلف الستار، أنهم إذا أرادوا أن يعيدوا البعث إلى الحكم من جديد فعليهم أن يطيروا في السماء ويحلـّقوا، وإن استحال عليهم أن يحلـّقوا في السماء، يستحيل عليهم أن يعيدوا البعث كحزب مرة أخرى إلى العراق.

لقد برهنت السنوات (الست) المنصرمة، على الرغم من كل ما عليها من ملاحظات، وبعد كل ما اكتنف هذه السنوات على مسرح الحكم من تحديات، لكن شعبنا أثبت أنه شعب متحضر، ولم تمتد يده إلى دولة من دول الجوار ليس من موقع الجبن، وليفهم حكام المنطقة أن شعب العراق شعب شجاع واجه الدكتاتورية، ونازلها على أرض العراق سنين بل عقوداً من الزمن، وقد أوتيت له كل الإمكانات (أي: نظام صدام)، ودعمته دول الشر من مختلف دول العالم، من الدول الكبرى وحتى دول المنطقة،

لكنهم لم يفتّوا في عضد العراقيين، ولو لم يهزّ العراقيون الأرض من تحت أقدام صدام، ويزلزلوا الحكم ما استطاعت قوات التحالف أن تنهي معركتها، ولتحول العراق إلى مقبرة لهم، لكن شعبنا رفض النظام المقبور.

ليدرك هؤلاء أن الشعب العراقي شعبٌ شجاع يناضل اليوم، ويقاتل على طول الجبهة، ويواجه الإرهاب والدكتاتورية والاحتلال، ويحارب كل نمطيات الأعداء التي تلوّح لإفقار شعبنا، وهو شعب غني، والعراق بلد غني ولن ينثني، ولن يتلكأ في مواصلة مسيرته إلى المستقبل، ونحن اليوم نُقدِم على موسم انتخابي جديد، وعليهم أن يمدوا يد المصافحة.. عليهم أن يصالحوا الشعب العراقي.. عليهم أن يعتذروا إلى الشعب العراقي عن كل مفارقة ارتكبوها.. لم ولن يستطيع البعثيون أن يحكموا العراق مرة أخرى، هذه رسالة شعبنا لكل الذين يتوهمون أنهم يستطيعون أن يعيدوا البعث من جديد حتى يحكم العراق بالحديد والنار.

لقد ذاق شعبنا حلاوة الحرية، وهو اليوم يمارس الانتخابات في مواسم متعددة، ويصر على الصعود على الطريق الطالع من وادي الدولة إلى قمتها بكل دأب، وبكل مواصلة وثقة وشجاعة.

لن يتردد شعبنا بأن يواصل المسير، وأن يبني هذه الدولة وفق أسس علمية، وستبقى الجامعة منجماً ومعملاً لتقديم الخطط والأستراتيجيات ونشر الثقافة؛ حتى تتحول الجامعة التي كانت مصنعاً للأبطال في مرحلة المعارضة، الى مصنع للقادة من النساء والرجال لبناء العراق الجديد.

العراق اليوم يتعرض لمؤامرات كثيرة، يحاول البعض أن يفصم عرى العلاقة، ويقطع جسور المحبة بين أبناء الشعب بدعوى التنوع القومي، وهذا واجب يضاف إلى الجامعة بأن تتحول إلى مجتمعية متآخية متحابّة متوادّة، وتحوّل التعصب الطائفي والنعرة العنصرية إلى تعايش مذهبي قومي.. قاعات الدرس في الجامعة هي التي تجسد الوحدة الوطنية، وفي قاعاتها تتكسر وتتلاشى كل الخلافات .. الجامعة معطٍ علمي، ومعطٍ تربوي يتعانق فيه الفكر والإحساس.

لجامعاتنا تاريخ لا يضاهيه ولا يساويه تاريخ أي جامعة في العالم، فنتشرف أن لها تاريخاً.. فجامعة النجف التي نيّف على تاريخها الألف سنة، أو الجامعة المستنصرية، التي ولد اسمها منذ ما يزيد عن ألف ومائتي سنة، ولكن لا ينبغي أن يكون لنا تاريخ قوي، ونقبل بحاضر ضعيف.. يجب أن نتواصل بمفهوم القوة، ونجيد فن المواصلة من تاريخنا إلى حاضرنا، ونعبر إلى المستقبل بإذن الله (سبحانه وتعالى).

تستطيع الجامعة وبمنهج علمي أن تجذر العلاقة الوطنية بين المواطنين كبنية تحتية تنعكس على البنية الفوقية لمؤسسات الدولة.. كل الرؤساء، وكل الوزراء، وكل

أعضاء مجلس النواب وأعضاء مجالس المحافظات كانوا طلاباً، وكن طالبات، وكانوا هنا يجلسون فعندما نريد أن نصنع مستقبلاً لبرلماننا ولمجالس محافظاتنا ووزرائنا، ونضفي عليهم صفة الوطنية لابد أن نبدأ رحلة الوطنية من هذا المكان.

أود أن أقول لأبنائي وبناتي من الذين حضروا ولإخواني من الأساتذة، والذين تحدثوا: حان الوقت لنبرهن بأننا أبناء ثورة، وإن مقولة: الثورة تأكل أبناءها، مقولة سخيفة باطلة، فالعراقيون يصنعون دولة، والثورة عند العراقيين تحمي أبناءها وتحبهم، وترعاهم.

سيبقى الخطاب بديلاً عن السيف، وستبقى الكلمة بديلة عن الرصاصة، وسيبقى التخاطب والتثاقف زادنا الحقيقي لبناء الدولة العراقية الجديدة.. الجميع ينتظرون منكم أن تشمّروا عن ساعد الجد، وتكونوا أمناء على شهدائنا الذين لفظوا أنفاسهم الأخيرة مضرّجين بأزكى الدماء، وهم يهتفون بسقوط الدكتاتورية، وإقامة العراق الجديد وها هو أمانة في أعناقكم.. لا نريد أن نمذهب السياسة، ونمذهب الجامعة، ولا نسيّس أو نعسكر الجامعة.

أوصي طلابنا وطالباتنا بأن يعرفوا ما يأخذون من المنهج كوسيط، والأستاذ كمعطٍ، طلب العلم مسؤولية وطنية قبل أن يكون رغبة شخصية، لذا ليس كثيراً على الدولة أن توفر للطالب من المستوى المعاشي ما يجعله يعيش متفتح الذهن، مقبلاً على الدرس غير مضغوط عليه بالحاجة المادية؛ حتى ينهض بمهمة بناء العراق؛ لذا يجب أن نتابع مسار الطالب من حيث ينطلق، ويواصل دوره في بناء العراق الجديد.

التسابق اليوم ينبغي أن يفتح ميداناً جديداً، وقد كنا ومانزال نتسابق في سوح الوغى عندما ينادينا واجب المعركة، وعندما يتعرض العراق للأذى والإرهاب والطائفية والبعث العميل، ولكن في الوقت نفسه يجب أن لا ننشغل عن بناء العراق الجديد، وبناء الحضارة من خلال توفير البنية الفكرية التحتية، والاقتصاد الوطني من خلال إشاعة حالة الانسجام والوئام بين مركبات الشعب العراقي المختلفة.

الديمقراطية كلٌ لا يتجزأ، لا ديمقراطية في السياسة من دون ديمقراطية في الاقتصاد والأمن، لا إستقلال في السياسة من دون استقلال في الثروة الاقتصادية، واستقلال الأجهزة الأمنية، كلها مدعاة لأن تمشي سوية، وكلها أمانة في أعناقكم.

أنا أقدّر أن أعماركم صغيرة من حيث الزمن لكن عقولكم وقلوبكم كبيرة بحجم الوطنية العراقية؛ فأتطلع لأن تحملوا بعقولكم النيرة النظرية المعرفية الجديدة، والفكر الوطني العراقي الذي يجمع ولا يفرق، وتحملوا في قلوبكم الطاهرة حب الوطن الذي إذا فقدناه فقدنا حب المواطنين.

تعجبني كثيراً هذه الكلمة: طلاب اليوم قادة المستقبل، كل شيء نستطيع أن نستورده من الخارج إلا السياسيين لا يُستوَردون من الخارج فما بالكم بالقادة، وهم منكم وفيكم ولكم، ينبغي أن تكون هذه الجلسات، وما ينتظرها من جلسات لاحقة في مجالس المحافظات وفي البرلمانات امتداداً لبناء العراق الجديد، وهو أمانة في أعناقكم.
أتمنى لكم التوفيق، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.